السماع في منظور العلماء

د. محمد بن أحمد الجوير

جامعة دار العلوم

مستخلص. البحث يتناول قضية من قضايا السلوك عند الصوفية، تمثلت فيما يُعرف عندهم بالسماع؛ باعتباره بحسب زعمهم عبادة يتقربون بها إلى الله زلفى، وظاهرة السماع، صاحبها إفرازات عُدت من متولداته، مثل الرقص والصعق والطم وتمزيق الثياب... إلخ. وقد نظر إليها علماء الأمة من (السلف والخلف) من المبتدعات في الدين، مما توجب عليهم إنكارها، والرد على أصحابها، وفق المنهج الحق في الرد على المخالف، وقد شاركهم في الرد والنقد، بعض أئمة ومشايخ ومصنفي الصوفية ذاتهم، وقد شارك في الرد والإنكار بعض الشعراء أيضًا والذي يلفت النظر، أن هذه الردود والإنكارات كانت في كل عصر ومصر؛ مما يؤكد وحدة المنهج في الدفاع عن العقيدة وتعرية خرافات المبتدعة.

المقدمة

على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك.

قال تعالى في محكم التنزيل: ﴿الْيَوْمَ اكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وقال ﷺ: « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه

فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

من نعم الله علينا، أن بعث إلينا محمد ﷺ، وختم به الرسالة، وأقام به الحجة، فحذر من البدعة، تاركنا

فهو رد «^(١).

من أصول الإسلام، ومعتقد أهل السنة والجماعة، ومناهجهم المعروفة؛ تقرير العقيدة، والرد على المخالف من أهل الأهواء والبدع.

وقد سار علماء الأمة من (السلف والخلف) منذ ظهور أهل الأهواء والبدع، بعد عهد الخلفاء الراشدين ﷺ، على منهج الدين الحنيف في الرد على المخالفين بالإنكار، والرد، والتحذير، متبعين المنهج الصحيح في ذلك على ضوء منهج القرآن والسنة المطهرة، من حيث الأصول والمناهج، وإن تنوعت أساليبهم، تبعاً للظروف في قرونهم.

والمأمل في أحداث التاريخ الإسلامي، بعد انتقال صفوة الخلق محمد ﷺ إلى الرفيق الأعلى، وانقضاء عهد الخلفاء الراشدين؛ يجد الخلافات والاضطرابات، فما تلبث أن تنطفئ فتنة، إلا وتطل أخرى برأسها، وما أن تندثر طائفة أو فرقة، إلا وتبرز أخرى متدثرة بالإسلام، كلها تكيد للإسلام وأهله المكائد والمصائب.

فعرفت الجهمية والجبرية والمرجئة، وعُرف أهل الكلام من المعتزلة والماترودية والآشاعرة، كما عُرفت الباطنية من الإسماعيلية والدروز والنصيرية، وكل هذه الفرق من غلاة الشيعة، كما عُرفت الصوفية، وكل هذه الفرق والطوائف، تصدى لها علماء السلف ومعهم الخلف، وأنكروا عليهم بدعهم، وسلوكياتهم، ومناهجهم، حتى صاروا بذلك أعلاماً،

بارزين، تحفظ المراجع وأمّهات الكتب، جهودهم، وتتناقلها الأجيال بعدهم.

ولعل أبرز تلك الفرق والطوائف، التي نالت نقداً وردوداً ظاهرة هي فرقة (الصوفية)، التي تدرت بالزهد والعبادة والنسك في بدء ظهورها في القرن الثاني الهجري تقريباً، ولم تلبث أن تطورت مراحل نشأتها حتى آل الأمر بغلاتها إلى الاعتقاد بالحلول والاتحاد ووحدانية الوجود، المفضية إلى الكفر والإلحاد، نتيجة تأثرها بالديانات الوثنية، والمذاهب الفلسفية.

هذه الفرقة، تُعدّ من الفرق التي ابتدعت سلوكيات ومعتقدات مصادمة لشعائر الدين المعروفة من الدين بالضرورة، حتى أصبحت من أشهر الفرق والطوائف المنتسبة للإسلام ابتداءً؛ بل هي رأس المبتدعة.

وفي هذا البحث، رأيتُ أن أتناول قضية مهمة من قضايا السلوك عند الصوفية، التي عدّوها عبادة تقربهم إلى الله، تلك هي (دعوى السماع) وما يتولد منه من إفرازات، لم يثبت عليها دليل.

والغاية من هذا البحث؛ كشف عوار وخفايا الصوفية في البدعة، التي سارت عبر القرون، ومازالت حتى هذا العصر، تنتمى بشكل بيّن، ولن يتأتى كشف حقيقتهم، إلا من خلال رصد ردود وإنكار ونقد العلماء عليهم في كل عصر ومصر، ولعلي في هذا البحث، أكتفي ببعض من هؤلاء العلماء، ممن تميز بغزارة علمه وقوة حجته.

وقد رأيتُ أن يكون عنوان هذا البحث: «السماع

في منظور العلماء»

وكان منهجي في إعداده قائم على الآتي:

(١) صحيح البخاري، كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور، فالصلح مردود، ٢/٢٦٧، حديث رقم (٢٦٩٧).

ويؤيد هذه النسبة السهروردي بقوله: "كان اختيارهم للبس الصوف لتركهم زينة الدنيا"^(٧).

ثم يذكر أن هذا الاختيار ملائم من حيث الاشتقاق اللغوي، لأنه يقال "تصوف إذا لبس الصوف كما يقال تقمص إذا لبس القميص"^(٨).

وممن قال بذلك شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: "والنسبة في "الصوفية" إلى الصوف لأنه غالب لباس الزهاد"^(٩).

كما اختار هذا القول ابن خلدون بقوله: قلت: والأظهر إن قيل بالاشتقاق أنه من الصوف، وهم في الغالب مختصون بلبسه لما كانوا عليه من مخالفة الناس في لبس فاخر الثياب إلى لبس "الصوف"^(١٠).

- مصادر التأثير

لقد أثبت المؤرخون، تأثر المتصوفة، بمصادر يهودية ونصرانية وهندية ويونانية ومجوسية وفارسية وقد يعود إلى عهود وثنية.

يقول الدكتور زكي مبارك: « الرقص والتواجد في حلقات الأذكار لا يمكن رجعه إلى أصول إسلامية صحيحة؛ وإنما هو أسلوب قديم عرفه الناس في

١- عرض شبه الصوفية، ثم بيان موقف العلماء منها.

٢- أذكر تاريخ وفاة العالم لأول مرة يرد اسمه، وذلك في ثنايا البحث.

٣- لا أترجم لأي من الأعلام، للحد من زيادة حجم البحث.

٤- أذكر اسم السورة ورقم الآية، بعد الآية مباشرة.

٥- أدون معلومات المرجع لأول مرة في الغالب.

٦- اكتفيت بفهرس للموضوعات، وفهرس آخر للمصادر والمراجع.

- التعريف الاصطلاحي للصوفية

تعددت الأقوال حول التعريف الاصطلاحي للتصوف عند الصوفية وغيرهم، واختلفت الصوفية ذاتها، حول هذا المعنى، واختلفهم هذا، لا يقلّ عن اختلافهم الكبير حول أصله في اللغة، إذ احتشدت به كتبهم حتى تجاوز تعريفه المائة عند بعضهم^(١)، وزادت تعاريفه عن الألف عند البعض^(٢)، بل قال بعضهم^(٣) أنها زهاء الألفين؛ لذا رأيت أن أكتفي بالقول الراجح في هذه التسمية وهو القول بالنسبة إلى (الصوف).

وممن نقل هذا عن الصوفية السراج الطوسي^(٤)، والكلاباذي^(٥)، والهجويري^(٦).

(٦) انظر كشف المحجوب، علي الهجویری، دراسة وتعليق د.إسعاد عبدالهادي قنديل، مراجعة د.أمين بدوي، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ١٩٨٠م، ص(٦٠).

(٧) عوارف المعارف، ص(٦٠).

(٨) ن. م ص(٦١).

(٩) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب عبدالرحمن بن قاسم، طبعة خادم الحرمين الشريفين، إشراف الرئاسة العامة لشئون الحرمين الشريفين (٣٦٩/١٠).

(١٠) مقامة ابن خلدون، عبدالرحمن بن خلدون، ط٦، بيروت، دار القلم، ١٤٠٦هـ ص(٤٦٧).

(١) انظر: للمع، لأبي السراج الطوسي، تحقيق د.عبدالحليم محمود، وطه عبدالباقي، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية ص(٤٧).

(٢) انظر: عوارف المعارف، عمر السهروردي، القاهرة، مكتبة القاهرة، ١٣٩٣هـ ص(٥٨).

(٣) انظر: التعرف لمذهب أهل التصوف، أبي بكر محمد الكلاباذي، ط٣، المكتبة الأزهرية للتراث، ١٤١٢هـ ص(٩).

(٤) انظر: للمع، ص(٤٠-٤١).

(٥) انظر التعرف لمذهب أهل التصوف ص(٢٧، ٢٨).

مختلفين في التصوّف أولهما الزهد، وهذا في نظره قريب من روح الإسلام، وإن كان متأثراً إلى حد كبير بالرهبانية المسيحية. والثاني التصوّف بمعناه الحقيقي وما يتصل به من كلام في المعرفة والأحوال والأنواق، وهو متأثر من ناحية بالأفلاطونية الحديثة، ومن ناحية أخرى بالبوذية الهندية^(٣)، ويقول أحمد أمين: "ثم إن التصوّف لما كان مختلطاً مع الفقه في العصر الأول كان إسلامياً بحتاً، وكان الزهد طوعاً للأوامر الإسلامية، وظلّ كذلك طول العهد الأيوبي... فلمّا دخل في الإسلام كثير من الأمم الأخرى وأهل الديانات الأخرى كالنصارى، واليهود، والفرس، والهنود، وانتشرت الفلسفة اليونانية والأفلاطونية الحديثة استمد التصوّف من كل هذه المنابع، فلوّن عند بعض الناس بالزرادشتية الفارسية، وبالمذاهب الهندية، ولوّن عند بعض الناس بالنصرانية، وعند بعضهم بالأفلاطونية الحديثة، ثم اختلطت هذه العناصر كلّها بعضها ببعض، وكانت نزعات مختلفة، وطرق مختلفة على مدى العصور"^(٤).

- تعريف السماع

يُعَدُّ السماع من الظواهر التي تلفت النظر عند أولئك المبتدعة الصوفية قديماً وحديثاً؛ وأفرده الكثير من مشايخهم ومؤرخيهم ومصنفيهم بمباحث خاصة في مؤلفاتهم.

الديانات القديمة وكانت له صور شائعة في عهود الوثنية، فبعض الآلهة كانوا ظرفاء ويحبون لأتباعهم أن يتقربوا إليهم بالرقص والغناء والمجون^(١). ولكن مع مرور الزمن استبدلت هذه الأبيات بالأشعار الغزلية التي أخذ القوالون^(٢) ينشدونها في حلقات السماع ويحضرها المشايخ بصحبة النساء والمردان حتى تشكّل السماع بمفهومه المقيد الذي كان من إفرازاته الصياح والبكاء والصراخ والصعق والزعق والتصفيق والرقص وتمزيق الثياب -كما أسلفت-.

وفي تحقيق لمجلة الهلال المصرية " فإن التصوّف في حقيقته خرج من أفكار ومعتقدات مجوسية، وبوذية، ومسيحية، ويهودية، ويونانية وهذه حقيقة يعترف بها المستشرقون الذين درسوا هذا النوع من التصوّف الإسلامي، فهذا "فون كريم" يقول: إن في التصوّف عنصرين مختلفين أولهما مسيحي رهباني والثاني هندي بوذي"

والمستشرق ثولك، يرى أن التصوّف مأخوذ من أصل مجوسي، كما أن مؤسسي فرق الصوفية الأوائل كانوا من نفس ذلك الأصل المجوسي، وكذلك يقول المستشرق الهولندي "دوزي": أن التصوّف جاء إلى الصوفية من فارس، حيث كان موجوداً قبل البعثة المحمّدية. أمّا المستشرق "جولدرزهر" فقد فرّق بين تيارين

(٣) (مجلة الهلال، يونية ١٩٨٥م، ١٢ رمضان ١٤٠٥هـ) ص(١٠٦).

(٤) ظهر الإسلام/ أحمد أمين، ط٣، بيروت، الكتاب العربي (٥٨/٢). ولمزيد من الاطلاع على هذه المؤثرات في القضايا العقدية والسلوكية للتصوّف، انظر: نظرية الاتصال عند الصوفية/ د. سارة آل جلوي، والمصادر العامة للتلقي عند الصوفية/ صادق سليم صادق.

(١) التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، زكي مبارك ط٢ (مصر: دار الكتاب العربي - ١٣٧٣هـ) (٣٨٤/١) هامش (١).

(٢) القول: هو المنشد في ذلك الزمان، المطرب والمغني في زماننا هذا.

التي يتحرك لها الطبع بحسب قبوله: وهو الذي يريدونه غالبًا بالسماع المطلق»^(٤).

- آثار السماع على الصوفية:

عند الاجتماع على الاستماع للمنشد (القول) وهو يلقي الأشعار بالألحان يتأثر الحاضرون وتصدر منهم بعض السلوكيات تشكل إفرازه من إفرازات السماع عندهم تكون متولدة تلقائيًا نتيجة غياب العقل -أشبهه بالسكرى-، ومن هذه الإفرازات والمتولدات التي تبدو ظاهرة على هؤلاء: البكاء، والصياح، تمزيق الثياب، اللطم، الرقص، التواجد، الزعق وغير ذلك. وهم يلتمسون لهذه الأفعال سندًا من الكتاب والسنة والقياس.

- الاحتجاج بالكتاب والسنة:

عندما يمارس الصوفية هذه السلوكيات؛ فهم يحاولون الاستدلال على ذلك بالنصوص الشرعية، وهي نصوص استخدموها في غير ما تدل عليه، أو لا تصح أصلاً نسبتها إلى الشارع، وقد وجدت -ولأسف الشديد- قبولاً لدى الرعا من الصوفية، فمثلاً عند تقطيع الثياب وتمزيقها أثناء السماع يحتجون على ذلك بقوله تعالى: ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ [ص: ٣٣].

وأثناء تواجدهم عند السماع يحتجون بقصة رووها عن سلمان الفارسي -رضي الله عنه- أنه عندما سمع قوله

فلا يخلو مصنف من مصنفات القوم من ذكره والتشفي به، فكثرت فيه أقوال مشايخ الصوفية وأوليائهم والدعوة إليه والاعتقاد بإباحيته، كالسراج الطوسي في اللمع، والقشيري في رسالته، والسهورودي في عوارف المعارف، حيث عقد أربعة أبواب في السماع، والغزالي في الإحياء، ومحمد بن طاهر في صفة أهل التصوف وغيرها.

فيا ترى ما المقصود بالسماع عند الصوفية؟

السماع لغة:

قال ابن منظور: هو الغناء، وقيل الذكر المسموع الحسن الجميل، وكل ما تلذذت به الأذن من صوت حسن سماع^(١).

- السماع في الاصطلاح الصوفي:

عرفه الطوسي بأنه « وارد حق يزجج القلوب إلى الحق فمن أصغى إليه بحق تحقق، ومن أصغى إليه بنفس تزندق »^(٢).

وقال عنه القشيري بأنه: « بروق تلمع ثم تخدم، وأنوار تبدو ثم تخفى »^(٣).

ولئن أُطلق السماع عند الصوفية فإن المراد به عندهم السماع المقيد بالنغم لا مطلق السماع، يقول ابن عربي: « السماع المقيد بالنغمات المستحسنات

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور، بيروت، دار القلم (٣٦٥/٦).

(٢) اللمع للطوسي ص(٣٤٢)، الرسالة القشيرية في علم التصوف، عبدالكريم القشيري، تحقيق ودراسة هاني الحاج، المكتبة التوفيقية ص(٥٠٣)، إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي، بيروت، دار العلم (٢٩٢/٢).

(٣) الرسالة القشيرية في علم التصوف، عبدالكريم القشيري، تحقيق ودراسة هاني الحاج، المكتبة التوفيقية ص(٥٢٥).

(٤) الفتوحات المكية لابن عربي، القاهرة، دار الكتب العربية الكبرى، ١٣٢٩ هـ (٣٦٧/٢).

تعالى: ﴿وَإِنْ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٤٣]

[٤٣] صاح صيحة، ووضع يده على رأسه ثم خرج هارباً ثلاثة أيام^(١).

ومن سلوكياتهم عند السماع الزعق والصياح والبكاء، فقد روي عن الشبلي حكاية أنه كان يصلي خلف إمام له، «فقرأ الإمام هذه الآية: ﴿وَلَيْنَ شِئْنَا لَنُدْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾» [الإسراء: ٨٦]

فزعق زعقة ظنوا أنه قد طارت روحه^(٢).

وقال الهجويري: «جئت يوماً عند الشيخ أرى العباس الشقاني وكان يقرأ: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾» [النحل: ٧٥] وكان يبكي ويصرخ حتى ظننت أنه قد فارق الحياة^(٣).

وحكي عن ذي النون المصري أنه لما دخل بغداد فدخل عليه جماعة معهم قَوْل (منشد)، فاستأذنوا أن يقول شيئاً فأذن لهم، فأنشده يقول:

صغير هواك عذّبي فكيف به إذا احتكنا
أما تنتظر لمكتئب إذا ضحك الحليّ بكى
وإن جمعت من قلبي هو قد كان مشتركاً

فطاب قلبه وقام وتواجد وسقط على جبهته والدم يقطر من جبينه ولا يقع على الأرض، ثم قام واحد منهم فنظر إليه ذو النون فقال: ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ

﴿الشعراء: ٢١٨﴾ فجلس الرجل^(٤).

كذلك احتجوا بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٩١]^(٥).

واحتجوا على جواز الطرب بقوله تعالى: ﴿أَرْكُضْ بِرَجْلِكَ﴾ [ص: ٤٢]^(٦).

أيضاً احتج الصوفية على جواز هذه الإفرازات والمتولدات أثناء السماع بما رواه حديثاً عن أنس - رضي الله عنه - قال: كنا عند رسول الله ﷺ إذ نزل جبريل، فقال يا رسول الله: إن فقراء أمتك يدخلون الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم؛ وهو خمسمائة عام، ففرح رسول الله ﷺ فقال: هل منكم من ينشدنا؟ فقال بدوي: نعم يا رسول الله، فقال: هات؛ فأنشد أعرابي:

قد لسعت حية الهوى كبدي فلا طبيب لها ولا راقبي
إلا الحبيب الذي شغفت به فعنده رقيتي وترياقي

فتواجد رسول الله ﷺ وتواجد الأصحاب حتى سقط رداؤه عن منكبه، فلما فرغوا آوى كل واحد منهم إلى مكانه، قال معاوية بن أبي سفيان: ما أحسن لعبكم يا رسول الله، فقال: مه يا معاوية، ليس بكريم من لم يهتز عند سماع الحبيب، ثم قسم رداء رسول الله ﷺ

(٤) انظر: الرسالة القشيرية ص (٥١٩)، وعوارف المعارف للسهروردي ص (١٦٥).

(٥) انظر: الرهص والرقص لمستحل الرقص، إبراهيم الحلبي، دراسة وتحقيق، د. صالح السدلان ط ١ (الرياض: دار طيبة - ١٤١٠ هـ) ص (٩٥).

(٦) انظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد الأصبهاني، بيروت، دار الفكر، ١٤١٦ هـ، (٣٧٤/١٠).

(١) انظر: اللمع للطوسي ص (١٨٥).

(٢) اللمع للطوسي ص (٣٥٥).

(٣) كشف المحجوب للهجويري ص (٦٤٢).

أيضًا يقيس السهروردي السماع على الغيث (المطر)، فيقول « مثل السماع مثل الغيث، إذا وقع على الأرض تصبح مخضرة، كذلك القلوب الزكية يظهر مكنون فوائدها عند السماع »^(٥).

والصوفية عندما تبدوا عليهم هذه الآثار التي سبق وأن بينها من الصياح والبكاء والزرق وتمزيق الثياب والتواجد وغيرها تحضرهم بذلك الشياطين وتشاركهم؛ بل تأزهم على ذلك أَرَأَ، وهم يقرون بذلك.

يقول الهجويري: « قال سمعت أبا العباس الشقاني يقول: كنت يومًا جالسًا في مجلس سماع فرأيت كثيرًا من الشياطين عراة الأجسام، يرقصون بين الجماعة ينفثون عليهم لكي يزيّدوا من حماسهم »^(٦).

- السماع قربة عند الصوفية:

بلغ السماع عند الصوفية درجة قدسية رفيعة، تتجلى تلك عندما عدّوا مجالس السماع من مجالس نزول الرحمة، واعتقدوا ذلك السماع من الدين المنزل من رب العالمين، وبالتالي فهو عبادة من العبادات التي تقربهم إلى الله زلفى، وأي عبادة!!.

فهذا الجنيد المسمى عندهم (سيد الطائفة) يقول: « تنزل الرحمة على الفقراء -الصوفية- في ثلاث مواطن، عند السماع فإنهم لا يسمعون إلا عن حق ولا يقولون إلا عن وجد وعند أكل الطعام فإنهم لا يأكلون إلا عن فاقة وعند مجارة العلم فإنهم لا يذكرن إلا

على من حضر بأربعمئة قطعة »^(١).

كما استدل الصوفية أيضًا على جواز هذا السماع بما روي عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: دخل عليّ أبوبكر الصديق وعندي جاريتان من جواري الأنصار، تغنيان بما تقاولت به الأنصار يوم بعث، قالت: وليستا بمغنيتين، فقال أبوبكر: أمزمار الشيطان في بيت رسول الله ﷺ، وذلك يوم عيد، فقال رسول الله ﷺ: « إن لكل قوم عيد وهذا عيدنا »^(٢).

- الاحتجاج بالقياس:

لم يكتف هؤلاء القوم بالاحتجاج بالكتاب والسنة، ولكنهم أيضًا جعلوا من القياس حجة لهم، فقد احتج بذلك القشيري على إباحة الغناء بقوله: « إن الطفل يسكن إلى الصوت الطيب، والجمل يقاسي تعب السير، ومشقة الحمولة فيهون عليه بالحداء »^(٣). وقد روى الهجويري أن بعض ملوك العجم مات وخلف ابنًا صغيرًا فأرادوا أن يبايعوه، فقالوا: كيف نصل إلى عقله وذكائه، فتوافقوا على أن يأتوا بقوّل (منشد) فإن حسن الإصغاء علموا كياسته فلما أسمعوه القوّل ضحك الرضيع، فقبلوا الأرض بين يديه وبايعوه!!^(٤).

(١) عوارف المعارف للسهروردي ص(١٨٩).

(٢) إحياء علوم الدين (٢٧٨/٢)، الرسالة القشيرية ص(٤٦٦).
والحديث عند البخاري، كتاب العيدين، باب الحراب والدرق يوم العيد (٢/٢) بمعناه.

(٣) الرسالة القشيرية ص(٤٨٢-٤٨٤)، والحداء: من الحدو، سوق الإبل والغناء لها. انظر: مختار الصحاح، للرازي، ترتيب محمود خاطر، وتحقيق وضبط حمزة فتح الله، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٤ هـ ص(١٢٧).

(٤) انظر: كشف المحجوب للهجويري ص(٤٨٦).

(٥) آداب المريدين للسهروردي، تحقيق فهم شلتوت، القاهرة، دار الوطن العربي ص(١٠٣).

(٦) كشف المحجوب ص(٤٩٧).

صفة الأولياء»^(١).

والعجب كل العجب أن جعل الصوفية منزلة السماع تفوق منزلة القرآن -والعياذ بالله-؛ بل أكبر تأثيراً على قلوبهم منه.

يبدو هذا السلوك جلياً في هذه الرواية فقد روي أن يوسف بن الحسين الرازي كان يقرأ القرآن، فقصده أبوالحسين الدراج من بغداد لزيارته فوجده يقرأ في المصحف، فلما أنشد أبوالحسن:

رأيتك تبني دائماً في قطيعتي ولو كنت ذا حزم

لهدمت ما تبني

كأنني بكم والليث أفضل قولكم ألا ليتنا كنا إذ

الليث لا يغني

فأطبق يوسف بن الحسين المصحف، ولم يزل يبكي، حتى ابتلت لحيته وابتل ثوبه، حتى رحمه أبوالحسين لكثرة بكائه.

ثم قال يوسف بن الحسين يا بني تلوم أهل الري^(٢): يقولون يوسف زنديق هذا أنا من صلاة الغداة أقرأ المصحف، ولم تقطر من عيني قطرة، وقد قامت القيامة عليّ بهذين البيتين^(٣).

وتأكيداً لهذه الرواية، فقد وصفه الشعراني في طبقاته بقوله: «وكان إذا سمع القرآن لا تقطر له دمعته،

وإذا سمع شعراً قامت قيامته»^(٤).

وهذا أبوحامد الغزالي يقول: «فاعلم أن الغناء أشد تهيجاً للوجد من القرآن»^(٥).

أيضاً حاول الصوفية إضفاء القدسية على هذا السماع من خلال حكايات وروايات ظاهرها الكذب، منها ما روي عن ممشاد الدينوري أنه قال: «رأيت النبي ﷺ في النوم، فقلت له يا رسول الله هل تنكر من هذا السماع شيئاً؟ فقال: ما أنكر منه شيئاً، ولكن قل لهم يفتتحون قلبه بقراءة القرآن ويختمون بعده بالقرآن»^(٦).

ومما يدل على كون السماع عندهم من الدين، أن أبا الفضل بن طاهر المقدسي الصوفي (ت ٥٠٧هـ) بعد أن أورد ما ظنه أدلة على مشروعية السماع قال: «فهذا رسول الله ﷺ وأصحابه والأولياء قد اجتمعوا للسماع وتواجدوا ورقصوا في اليقظة والنوم، فكيف ينكره أحد اليوم وما كان كذلك فهو دين معروف»^(٧).

ولا يرون بأساً في حضور الملاهي لسماع الأغاني لأنهم بزعمهم قد وصلوا إلى مقام اليقين الذي من وصله سقطت عنه التكاليف الشرعية!

فقد نقل عن رجل من المتصوفة، كان يحضر

(٤) الطبقات الكبرى، عبد الوهاب الشعراني، ط ١، بيروت، دار الجيل، ١٤٠٨هـ (٩١/١).

(٥) إحياء علوم الدين (٢٣/٢).

(٦) إحياء علوم الدين للغزالي (٢٧٠/٢)، وانظر عوارف المعارف ص (١٦٥).

(٧) صفة أهل التصوف للمقدسي نقلاً عن كشف القناع عن حكم الوجد والسماع لأبي العباس أحمد القرطبي، تقديم وتحقيق وتخريج د. عبدالله الطريقي، ط ١، ١٤١١هـ ص (١٥٩).

(١) الرسالة القشيرية ص (٥٠٩)، واللمع ص (٣٤٣)، والإحياء (٢٧٠/٢).

(٢) الري: مدينة مشهورة تقع بين جرجان وطبرستان شمال إيران. انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٦هـ (١١٦/٣).

(٣) انظر: اللمع ص (٣٦٤)، والرسالة القشيرية ص (٥٢٢).

جميع ما في لا إله إلا الله من العقائد والعلوم والآداب والحقائق...»^(٣).

والشاهد من هذا أن الصوفية تمارس الرقص والوجد أثناء ما يسمى عندهم بالذكر الصوفي، لذا صار الذكر قريناً للسماع عندهم.

ومما ينبغي الإشارة إليه أن باب الأذكار هو الباب الذي ولج منه هؤلاء للتشريع لمريديهم، حيث وضع كل شيخ طريقة أذكاراً مخصوصة وكان لابد لكل شيخ أن يضيفي على ذكره هالة من التقديس فمنهم من زعم أن ذكره أخذه من الرسول ﷺ، ومنهم من زعم أنه أخذه من الخضر - عليه السلام -.

وهذه الأذكار قد تحوي كلمات غير مفهومه، وكل يدعي الوصل بليلي!!.

فكل شيخ يدعي بأن من يردد ذكره له من الأجر كذا وكذا من المنافع الدنيوية، فهذا أحمد التيجاني المولود سنة ١١٥٠ هـ شيخ الطريقة التجانية يدعي بأن الرسول ﷺ أعطاه ذكرًا يسمى « صلاة الفاتح » القراءة الواحدة له تعدل قراءة القرآن ستة آلاف مرة»^(٤).

- النظر إلى وجه الأمر من إفرازات السماع:

ثمة سلوك آخر عند الصوفية لا ينفك عن مسألة السماع عندهم، ذلك أنهم يعملون على تقريب الشباب المرء ويجوزون النظر إلى وجوههم أثناء

الملاهي، ويعمل عمل أهل البدع ويقول: هذا لا يؤثر؛ لأنني وصلت إلى مقام لا يؤثر فيّ معه الاختلاف^(١).

- الرقص من متولدات السماع:

لدى المتصوفة عبادة، يمارسونها على غير وجهها الصحيح، هي عبادة (الذكر).

فالصوفية يتقربون به إلى الله، وهو عندهم ما يسمى بالذكر الصوفي، يفردون الله بالذكر، ويذكرون الله والنبي ﷺ، ثم يرقصون، ويتواجدون ويستدلون على ذلك بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩١].

فمن بدعهم في الذكر، ما يجري على ألسنتهم من أفراد الله فيقولون، « الله الله الله الله »، و « هو هو هو »، و « لا لا لا لا » أو « آه آه آه » أو « عا عا عا عا » أو « آ آ آ آ »، أو « ها ها ها ها »، أو «صوت بغير حرف، أو تخبيط، وأدبة عند ذلك التسليم للوارد^(٢).

ويقول أبو العباس المرسى: « ليكن ذكرك: الله الله، فإن هذا الاسم سلطان الأسماء، وله بساط وثمره، فبساطه العلم، وثمرته النور، وليس النور مقصوداً لذاته، بل لما نفع به الكشف والعيان، فينبغي الإكثار من ذكره، واختياره على سائر الأذكار، ليضمنه

(١) انظر: الحلية لأبي نعيم (٣٥٦/١٠).

(٢) انظر: الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية، عبد الوهاب الشعراني، تحقيق وتقديم طه عبد الباقي سرور، ومحمد عيد الشافعي، بيروت، مكتبة المعارف (٣٩/١).

(٣) نور التحقيق، حامد صقر (مصر: دار التأليف - ١٣٦٩ هـ) ص (١٧٤).

(٤) جواهر المعاني على براءة (دار الجيل - بيروت) (١١٤/١).

ما سبق هو المفهوم السلوكي للسمع عند الصوفية وآثاره عليهم، ومنزلته عندهم، وذلك من واقع أقوال مشايخهم، التي ساقها أئمتهم ومصنفوهم.

وبعد هذا العرض لهذه الدعاوى الصوفية، نسوق كلام علماء الأمة حولها؛ لنقف على موقفهم من هذه الممارسات والسلوكيات، ليتبين الحق من الباطل.

- السماع في منظور العلماء

سبق وأن أشرتُ إلى أن دعاوى الصوفية بمجملها، لم تكن محصورة في قرن دون آخر؛ بل أنها وجدت مع التصوف والصوفية، منذ تاريخ نشأته، وسارت عبر عصوره، شأنها شأن كل بدعة، تبدأ صغيرة، ثم لا تلبث أن تكبر مع مرور الزمن.

لقد أنكر العلماء في كافة القرون، منذ ظهرت الصوفية وحتى اليوم على المتصوفة بدعهم ومخالفاتهم للعقيدة والشرعية والمنهج والسلوك، وبينوا ما يترتب عليها من مخالفات شرعية، وفندوا ما أحدثوه من بدع منكرة في هذا الشأن، ومن خلال ذلك أصلوا حكم الإسلام في السماع، وما يصحبه من آفات ومخالفات، تجسدت بإفرازاته، ومتولداته التي أشرت لها.

لا شك ولا ريب أن هذه الدعوى والممارسات السلوكية، بمجملها من البدع الظاهرة لدى المتصوفة، والتي لم يزل علماء الأمة، في كل قرن، وحتى اليوم، يُفندونها بدعة، بدعة، ويردونها، بل ينكرون على من يعتقد بها، ويمارسها، سندهم في ذلك، قال الله وقال رسوله ﷺ.

اجتماعهم للسمع، بل إن البعض منهم قد يمارس بعض السلوكيات المشينة والشاذة مع هؤلاء المرد، بحجة النظر والاعتبار لزيادة الإيمان، هذا ما يتضح في الرواية التالية:

فقد ذكر الشعراني في طبقاته في ترجمة علي أبوخوذة: « أنه إذا رأى امرأة أو أمرًا راوده عن نفسه وحسس على مقعده سواء كان ابن أمير أو ابن وزير ولو كان بحضرة والده أو غيره ولا يلتفت إلى الناس »^(١).

وكان علي الحريري أكثر المتصوفة تهتكًا في معاشره الأحداث « فكان من وقع نظره عليه من الأحداث وأولاد الجند والأمراء وغيرهم يحسن ظنه فيه، ويميل إليه، ولا يعود ينتفع به أهله، بل يلزمه ويقوم عنده، اعتقادًا فيه وميلًا إليه »^(٢).

وقد أباح محمد بن طاهر المعروف بابن القيسراني، للصوفية النظر إلى وجوه المرد وذلك بتصنيفه رسالة في إباحة السماع والنظر إلى المرد^(٣).

والشعراني يؤكد هذا السلوك عند الصوفية، عندما أورد خبر الصالح محمد بن عراقي، الذي كان لا يمكّن ابنه عليًا من الخروج إلى السوق، حين كان أمرد، إلا أن يُبرقع خوفًا عليه من السوء والفتنة^(٤).

(١) الطبقات الكبرى (١٣٥/٢).

(٢) الموفي بمعرفة التصوف والصوفي/ لأبي الفضل جعفر الأديوي، تحقيق وتعليق: د/ محمد ضالحنة، ط ١ (الكويت - دار المعرفة - ١٤٠٨ هـ) ص (١٥-١٦).

(٣) انظر: الطبقات الكبرى (١٢٩/٢)، وانظر تلبيس إبليس لابن الجوزي، بيروت، دار الكتب العلمية ص (٢٦٦).

(٤) انظر: لوائح الأنوار في طبقات الأخيار، عبد الوهاب الشعراني، (القاهرة، ١٩٦٥ م) (٢٥٧/٢).

وقبل أن نقف على تلك الجهود، التي كُرسَتْ، لتفنيد هذه البدع الظاهرة، وإنكارها والرد على أصحابها، يلزمنا معرفة الحكم الشرعي إزاءها ابتداءً.

- حكم السماع الصوفي:

بذل علماء الأمة، جهدهم وأفنوا أعمارهم، بالرد على المبتدعات والمحدثات في الدين، وما أن أُطْلُت بدعة السماع عند الصوفية برأسها؛ إلا وتصدى لها هؤلاء العلماء الأجلاء في كل عصر ومصر، بتفنيدها والإنكار على أصحابها أشد الإنكار، وكان لأسلوب الرد، بالتأليف النصيب الأوفى، فكثرت المؤلفات في مسألة السماع؛ لاسيما التي تنكرها، وتعتبرها بدعة من أشهر البدع عند الصوفية.

وهذه بعضاً منها مطبوعاً:

١- الرد على من يحب السماع للقاضي طاهر الطبري (ت ٤٥٠هـ).

٢- كتاب رسالة في تحريم الجبن الرومي وتحريم الغناء والسماع لأبي بكر محمد بن الوليد الطرطوشي (ت ٥٢٠هـ).

٣- فتاوى في ذم الشبابة والرقص والسماع، لموفق الدين أبي محمد بن قدامة (ت ٦٢٠هـ).

٤- كشف القناع عن حكم الوجد والسماع لأبي العباس أحمد القرطبي (ت ٦٥٦هـ).

٥- حكم السماع لابن تيمية (ت ٧٢٨هـ).

٦- فتاوى في الغناء، لأبي العباس أحمد المعروف بابن قاضي الجبل (ت ٧٥١هـ).

٧- نزهة الأسماع في مسألة السماع، لأبي الفرج

عبدالرحمن بن رجب (ت ٧٩٥هـ) (١).

٨- الرهص والوقص لمستحل الرقص، لإبراهيم الحلبي (ت ٩٥٤هـ) تحقيق: الدكتور صالح السدلان.

٩- كف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع، لابن حجر الهيتمي (ت ٩٧٤هـ).

هذا وقد دلّ الكتاب والسنة على تحريم الغناء. فمن الكتاب:

قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [لقمان: ٦].

قال ابن مسعود، وابن عباس، ومجاهد، وعكرمة: لهو الحديث هو الغناء، ذكر ذلك البغوي وقال: معنى قوله: ﴿يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾ أي: يستبدل ويختار الغناء والمزامير والمعازف على القرآن (٢).

وقوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ سَلَمُونَ﴾ [النجم: ٦١]، قال ابن عباس: هو الغناء (٣).

وقوله تعالى: ﴿وَأَسْتَفْزِزْنَ مِمَّنْ أَسْتَطَعَتْ مِنْهُنَّ بِصَوْتِكَ﴾ [الإسراء: ٦٤]، قال مجاهد: بصوتك: بالغناء والمزامير (٤).

وأما السنة الشريفة:

(١) لمزيد الاطلاع على المؤلفات في مسألة السماع: انظر: مقدمة كتاب كشف القناع عن حكم الوجد والسماع للقرطبي، تحقيق: د. عبدالله الطريقي.

(٢) انظر: تفسير البغوي، تخريج وتحقيق محمد النمر وعثمان ضميرية وسليمان الحرش، ط ٢، الرياض، دار طيبة، ٢٨٦/٦.

(٣) انظر: تفسير البغوي ٤٢١/٧.

(٤) انظر: تفسير البغوي ١٠٥/٥.

ثم بين ابن قدامة أن هذا التغبير هو السماع، وهو منهي عنه، فقال: « والتغبير اسم لهذا السماع، وقد كرهه الأئمة كما ترى، ولم ينضم إليه هذه المكروهات من الدفوف^(٥) والشبابات^(٦)، فكيف به إذا انضمت إليه واتخذوه ديناً؟ فما أشبههم بالذين عابهم الله تعالى بقوله: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً﴾ [الأنفال: ٣٥]، وقيل المكاء: التصفير، والتصدية: التصفيق، وقال الله سبحانه لنبيه ﷺ: ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوَ وَعَرَجَهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾^(٧).

وقال ابن قدامة رحمه الله: « من اتخذ الغناء صناعة، يؤتى له ويأتي له، أو اتخذ غلاماً أو جارية مغنيين، يجمع عليهما الناس، فلا شهادة له لأن هذا عند من لم يحرمه سفه ودناءة وسقوط مروءة، ومن حرمه، فهو مع سفهه عاصٍ مصرّ، متظاهر بفسوقه، ... ومن كان يغشى بيوت الغناء، أو يغشاها المغنون للسماع متظاهراً بذلك، وكثر منه، ردت

فقد وردت أحاديث كثيرة تنصّ على تحريم الغناء، منها: قول النبي ﷺ: « ليكونن من أمتي أقوام يستحلّون الحر، والحريّر، والخمر والمعازف... »^(١).

وقال عليه أفضل الصلاة والسلام: « في هذه الأمة خسف ومسح وقذف، فقال رجل من المسلمين: يا رسول الله! ومتى ذاك؟ قال: إذا ظهرت القينات والمعازف، وشربت الخمر »^(٢).

وقد أورد ابن قدامة (ت ٦٢٠هـ) رحمه الله بعض أقوال الأئمة في حكم هذا السماع ومنها:

١- قول الإمام أحمد: (التغبير^(٣) محدث)، وقوله وقد سئل عنه (هو بدعة).

٢- قول الإمام الشافعي: (تركك بالعراق شيئاً يقال له التغبير. أحدثته الزنادقة يصدون الناس به عن القرآن).

٣- قول يزيد بن هارون: (ما يغبر إلا فاسق، ومتى كان التغبير؟).

٤- قول عبد الله بن داود: (أرى أن يضرب صاحب التغبير)^(٤).

(١) صحيح البخاري، كتاب الأشربة، باب ما جاء فيمن يستحل الخمر ويسميه بغير اسمه ٢٤٣/٦.

(٢) سنن الترمذي، ضبط ومراجعة أصول وتصحيح عبدالرحمن عثمان، نشر محمد الكتبي، كتاب الفتن باب ما جاء في أشراط الساعة، ٣٣٦/٣، والحديث عن عمران بن حصين رضي الله عنه، وقال الترمذي هذا حديث غريب.

(٣) التغبير: الاجتماع على الذكر والأوراد الصوفية، وترديد الصوت بالقرءاء والطرب عند سماع الذكر أو بعض الأشعار، والضرب بالقضيب، ونحو ذلك، ويطلق عليه التغبير لأنهم يغيرون ذكر الله بما يطربون به من الشعر. وسموا مغيرين لتزهيدهم الناس في الفاني من الدنيا وترغيبهم في الآخرة.

(انظر: تلبس إبليس ص ٢٣٠، والاستقامة لابن تيمية، تحقيق د.رشاد سالم، ط٢، القاهرة، مكتبة السنة، ١٤٠٩هـ - ٢٣٨/١).

(٤) انظر: ذم ما عليه مدعوا التصوف لموفق الدين عبدالله بن قدامة

المقدسي، تحقيق زهير الشاويش، ط٣ (بيروت: المكتب الإسلامي - ١٤٠٤هـ) ص ٧.

(٥) الذف: آلة طرب ينقر عليها، وجمعه دفوف. (انظر: المعجم الوسيط، إخراج إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبدالقادر ومحمد علي النجار، مجمع اللغة العربية بدمشق، استانبول، دار الدعوة، ١٣٨٠هـ، ٢٨٩/١).

(٦) الشباية: مزمار من القصب، مؤلدة. (انظر: الوافي، معجم وسيط اللغة العربية، عبد الله البستاني (بيروت: مكتبة لبنان - ١٩٩٠م) ص ٣٠٣ بدون رقم الطبعة).

(٧) ذم ما عليه مدعوا التصوف، موفق الدين عبدالله بن قدامة المقدسي، تحقيق زهير الشاويش، ط٣، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٤هـ ص ٨.

الثاني: أنه يميله إلى اللذات العاجلة، ويدعو إلى استيفائها من جميع الشهوات الحسية، ومعظمها النكاح، وليس تمام لذته إلا في المتجددات ولا سبيل إلى كثرة المتجددات من الحل، فلذلك يحث على الزنا، فبين الغناء والزنى تناسب من جهة أن الغناء لذّة الروح والزنى أكبر لذات النفس^(٦).

وقد حرّر شيخ الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) رحمه الله موقف السلف من أهل السنة والجماعة من دعوى السماع عندما سئل رحمه الله عنه، موضحاً السماع المشروع من السماع المبتدع قائلاً: «السماع الذي أمر الله به رسوله واتفق عليه سلف الأمة ومشايخ الطريق هو سماع القرآن، فإنه سماع النبيين وسماع العالمين وسماع العارفين، وسماع المؤمنين. قال -عليه السلام- ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۝٥٨﴾ [مريم: ٥٨]

وقال تعالى: ﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ۝١٧ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ۝١٨ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۝١٩﴾ [الإسراء: ١٠٧-١٠٩].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ

شهادته في قولهم جميعاً، لأنه سغه ودناءة^(١).

وقد أنكر محمد بن سيرين (ت ١١٠هـ) رحمه الله هذا السماع فقد ذكر عنده: «الذين يصرعون إذا قرئ القرآن، فقال بيننا وبينهم أن يقف أحدهم على ظهر بيت باسطاً رجله، ثم يقرأ عليه القرآن من أوله إلى آخره، فإن رمى بنفسه فهو صادق^(٢).

وقال عبدالله بن المبارك^(٣): «لا تأخذوا عن أهل الكوفة في الرفض شيئاً، ولا عن أهل الشام في السيف شيئاً، ولا عن أهل البصرة في القدر شيئاً، ولا عن أهل خراسان في الإرجاء شيئاً، ولا عن أهل مكة في الصرف، ولا عن أهل المدينة في الغناء، لا تأخذوا عنهم في هذه الأشياء شيئاً^(٤).

وهذا ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) يذكر أقوال أصحاب المذاهب الأربعة في كراهيته^(٥)، وبين رحمه الله أن سماع الغناء يجمع شيئين:

أحدهما: أنه يلهي القلب عن التفكير في عظمة الله تعالى، والقيام لخدمته.

(١) المغني، لابن قدامة، الرياض، مكتبة الرياض الحديثة، ١٤٠١هـ، ١٧٧/٩-١٧٨.

(٢) كشف الرعاع عن محرمات الله والسماع، أحمد الهيثمي، تحقيق محمد عبدالقادر عطا، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٦هـ ص(٨٢).

(٣) عبدالله بن المبارك: هو الإمام شيخ الإسلام، عالم زمانه، وأمير الأتقياء في وقته أبو عبدالرحمن الحنظلي، ولد سنة (١١٨هـ)، وتوفي في رمضان سنة (١٨١هـ). انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء، محمد الذهبي، ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ (٣٨٠/٨).

(٤) شرح السنة لأبي محمد الحسن البريهاري، تحقيق: خالد الروادي، ط٢، (الرياض - دار السلف - ١٤١٨هـ ص(١١٦).

(٥) انظر: تلبيس إبليس ص ٢٢٨-٢٣٠، وانظر آراء الأئمة الأربعة أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد في الغناء، إغاثة اللهفان من مصابيد الشيطان، لابن القيم، تحقيق وتصحيح وتعليق محمد الفقي، بيروت، دار المعرفة، ٢٢٦/١-٢٢٩.

يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَأَكْتَبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ [المائدة: ٨٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢-٤].

إلى أن قال -رحمه الله-: « وكما أثنى الله على هذا السماع فقد ذم المعرضين عنه وساق بعض الآيات القرآنية الدالة على الوعيد الشديد لمن أعرض عن سماع القرآن الكريم ثم قال:

وهذا كثير في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإجماع المسلمين يمدحون من يقبل على هذا السماع ويحبه ويرغب فيه وينمون من يعرض عنه ويبغضه».

إلى أن قال -رحمه الله-: « وهذا سماع له آثار إيمانية من المعارف القدسية والأحوال الزكية يطول شرحها، ووصفها، وله في الجسد آثار محمودية من خشوع القلب، ودموع العين، واقشعرار الجلد، وقد ذكر الله هذه الثلاثة في القرآن، وكانت موجودة في أصحاب رسول الله ﷺ الذي أثنى عليهم في القرآن، ووجد بعدهم في التابعين آثار ثلاثة الاضطراب، والاختلاج والإغماء، أو الموت والهيام، فأنكر بعض السلف ذلك إما لبدعتهم وإما لحبهم.

وأما جمهور الأئمة والسلف فلا ينكرون ذلك فإن السبب إذا لم يكن محظوراً كان صاحبه فيما تولد

عنه معذوراً لكن سبب ذلك قوة الوارد على قلوبهم وضعف قلوبهم عن حمله فلو لم يؤثر السماع لقسوتهم كانوا مذمومين كما ذم الله الذين قال فيهم: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ﴾ [البقرة: ٧٤]، وقال -ﷺ-: ﴿الْمَرْيَأُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الحديد: ١٦]. ولو أثر فيهم آثاراً محمودية لم يجذبهم عن حدِّ العقل لكانوا كمن أخرجهم إلى حدِّ الغلبة كانوا محمودين أيضاً ومعذورين.

فأما سماع القاصدين لصلاح القلوب في الاجتماع على ذلك: إما نشيد مجرد نظير الغبار وإما بالتصفيق ونحو ذلك، فهو السماع المحدث في الإسلام فإنه أحدث بعد ذهاب القرون الثلاثة الذين أثنى عليهم النبي ﷺ حيث قال « خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم »^(١)، وقد كرهه أعيان الأمة ولم يحضره أكابر المشايخ. وقال الشافعي رحمه الله: « خلفت ببغداد شيئاً أحدثه الزنادقة يسمونه التغبير يصدون به الناس عن القرآن ».

وسئل عنه الإمام أحمد بن حنبل فقال: « هو محدث أكرهه قيل له: إنه يرق عليه القلب. فقال: لا تجلسوا معهم. قيل له: أيهجرون؟ فقال: لا يبلغ بهم هذا كله ». فبين أنه بدعة لم يفعلها القرون الفاضلة لا في الحجاز ولا في الشام ولا في اليمن ولا في مصر ولا في العراق

(١) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، استنبول، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ (١٨٩/٤).

عندما ورد عليه سؤال جاء فيه: « ما تقول السادة الفقهاء... فيمن يسمع الدف والشبابة، والغناء ويتواجد حتى أنه يرقص... مع اعتقاده أنه محب لله، وأن سماعه وتواجده ورقصه في الله؟ »

فكان مما أجاب به قوله: « إن فاعل هذا مخطئ ساقط المروءة، والدائم على هذا الفعل مردود الشهادة في الشرع غير مقبول القول، ومقتضى هذا أنه لا تقبل روايته... ولا شهادته برؤية هلال رمضان، ولا أخباره الدينية.

وأما اعتقاده محبة الله -ﷻ-، فإنه يمكن أن يكون محباً لله سبحانه مطيعاً له في غير هذا... وأما هذا فمعصية ولعب، ذمه الله تعالى ورسوله ﷺ، وكرهه أهل العلم وسموه بدعة، ونهوا عن فعله، ولا يتقرب إلى الله سبحانه بمعاصيه، ولا يطاع بارتكاب مناهيه. ومن جعل وسيلته إلى الله سبحانه معصيته، كان حظه الطرد والإبعاد، ومن اتخذ اللهو واللعب ديناً، كان كمن سعى في الأرض بالفساد، ومن طلب الوصول إلى الله -ﷻ- من غير طريق رسول الله ﷺ وسنته، فهو بعيد من الوصول إلى المراد «(١)».

وجاء في كلامه رحمه الله تعالى: « ومن المعلوم أن رسول الله ﷺ كان شقيقاً على أمته، حريصاً على هدايتهم رحيماً بهم، فما ترك طريقاً تهدي على الصواب إلا وشرعها لأمته، ودلهم عليها بفعله قوله، وكان أصحابه من الحرص على الخير والطاعة

ولا خراسان ولو كان للمسلمين به منفعة في دينهم لفعله السلف ولم يحضره مثل إبراهيم بن ادهم ولا الفضيل بن عياض ولا معروف الكرخي، ولا السري السقطي، ولا أبوسليمان الداراني، ولا مثل الشيخ عبدالقادر والشيخ عدي، والشيخ أبي البيان، ولا الشيخ حياة وغيرهم بل في كلام طائفة من هؤلاء كالشيخ عبدالقادر وغيره النهي عنه وكذلك أعيان المشايخ ».

إلى أن قال -رحمه الله-: « وبالجمله فعلى المؤمن أن يعلم أن النبي ﷺ لم يترك شيئاً يقرب إلى الجنة إلا وقد حدث به ولا شيئاً يبعد عن النار إلا وقد حدث به وإن هذا السماع لو كان مصلحة لشرعه الله ورسوله فإن الله يقول: ﴿أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]. وإذا وجد فيه منفعة لقلبه ولم يجد شاهد ذلك لا من الكتاب ولا من السنة لم يلتفت إليه «(١)».

- العلماء ودعوى أن السماع قريبة إلى الله:

عندما اعتقد الصوفية، أن السماع، وما يترتب عليه من آثار، إنما يفعلونه، قريبة إلى الله، زاعمين أنه من الدين.

واجه هذا الاعتقاد، ردًا، وإنكارًا، وتحذيرًا من علماء الأمة، سندهم في ذلك الكتاب والسنة، وأقوال السلف الصالح.

فقد شدد الإمام موفق الدين ابن قدامة المقدسي رحمه الله، إنكاره على الصوفية في هذه الدعوى، وكان ذلك

(٢) ن. م ص (٦).

(١) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٥٩٥-٥٨٧/١١).

والمسارعة إلى رضوان الله بحيث لم يتركوا خصلة من خصال الخير، إلا تسابقوا إليها. فما نقل عن النبي ﷺ ولا عن أحد من صحابته أنه سلك هذه الطريقة الرديئة، ولا سهر ليله في سماع ينقرب به إلى الله سبحانه ولا قال: من رقص فله من الأجر كذا، ولا قال: الغناء ينبت الإيمان في القلب، ولا استمع الشباب، فأصغى إليها وحسنها، أو جعل في استماعها وفعلها أجراً، وهذا أمر لا يمكن مكابرتة، وإذا هذا لزم أن لا يكون قربة إلى الله سبحانه، ولا طريقاً موصلاً إليه، ووجب أن يكون من شر الأمور «(١)».

وقال رحمه الله منكرًا على الصوفية في ذلك: « فأما من يجعله -أي ضرب الدف ونحوه- دينًا، ويجعل استماعه، واستماع الغناء قربة وطريقًا إلى الله سبحانه، فلا يكاد يوصله ذلك إلا إلى سخط الله ومقته، وربما انضم إلى ذلك النظر إلى النساء المحرمات أو غلام جميل يسلبه دينه، ويفتن قلبه، ويخالف ربه في قوله سبحانه: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ [النور: ٣٠]، فكان دليلاً على تسامحه في المخالفة لقوله: ﴿وَيَحْفَظُوا أَرْجُلَهُمْ﴾، ولم يكن ذلك أذكى لهم، ومن ابتلي بمخالفة أول الآية، فليبادر إلى العمل بآخرها: ﴿وَوُفُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١] «(٢)».

وقال رحمه الله وهو يرد على ابن الحنبلي إباحته سماع الشباب، مبيّنًا أن هذا من فعل المبتدعة: « ومن العجب، استدلال الفقيه على إباحة الشباب. بأنه قد سمعها من الصوفية، وما من قبيحة من القبائح، ولا بدعة من البدع، إلا قد سمعها مشايخ وشباب أيضًا،

وقد علم الناصح -أي ابن حنبلي- أنواع الأدلة، فهل وجد منها فعل المشايخ من الصوفية؟، وإن كان هذا دليلاً؛ فليضمه إلى أدلة الشرع المذكورة، ليكون دليلاً آخر يقرب به على من قبله، ويكون هذا الدليل منسوباً إليه، معروفاً به، ولكن لا ينسبه إلى مذهب أحمد، فإن أحمد وغيره من الأئمة بريئون من هذا «(٣)».

وكان الحافظ عبدالغني المقدسي (ت ٦٠٠هـ) قوياً في أمر الله، وكثيراً ما كان بدمشق ينكر المنكر، ويكسر الطنابير والشبابات «(٤)».

وأبطل أبوبكر الطرطوشي (ت ٥٢٥هـ) دعوى الصوفية بأن هذا السماع قربة إلى الله قائلاً: « وقد كان الناس فيما مضى يستتر أحدهم بالمعصية إذا واقعها ثم يستغفر الله ويتوب منها، ثم كبر الجهل، وقل العلم، وتناقص الأمر، حتى صار أحدهم يأتي المعصية جهاراً، ثم ازداد الأمر إدباراً حتى بلغنا أن طائفة من إخواننا المسلمين -وفقنا الله وإياهم-

(٣) الذيل طبقات الحنابلة، لابن أبي يعلى، خرج أحاديثه ووضع حواشيه، أبو حازم أسامة بن حسن وأبو الزهراء حازم علي بهجت، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ (١٥٩/٤).

(٤) انظر: ن.م (١٢/٤-١٣).

(١) ن.م ص (٩-١٠).

(٢) ذم ما عليه مدعو التصوف ص (١٤-١٥).

استنزلهم الشيطان واستهوى عقولهم في حب الأغاني واللهو وسماع الطقطقة واعتقدته من الدين الذي يقربهم من الله تعالى، وجاهرت به جماعة من المسلمين»^(١).

وأكرر ابن رجب (ت ٧٩٥هـ) رحمه الله على الصوفية زعمهم أن السماع قربة لله قائلاً: «... إن يقع استماع الغناء بآلات اللهو أو بدونها على وجه التقرب إلى الله تعالى وتحريك القلوب إلى محبته والأنس به والشوق إلى لقائه، وهذا هو الذي يدعيه كثير من أهل السلوك ومن يتشبه بهم ممن ليس منهم، وإنما يستتر بهم ويتوصل بذلك إلى بلوغ غرض نفسه عن نيل لذته، فهذا المتشبه بهم مخادع مُلبس وفساد حاله أظهر من أن يخفى على أحد..». ثم بين رحمه الله حال الصادقين في دعوهم الذي لُبس عليهم فتقربوا إلى الله بما لم يشرعه الله واتخذوا ديناً لم يأذن الله فيه فلهم نصيب ممن قال الله فيه: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾ [الأنفال: ٣٥].

وقال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

فإنه إنما يتقرب إلى الله بما يشرع التقرب به إليه على لسان رسوله، فأما ما نهى عنه فالتقرب به إليه مضادة لله في أمره»^(٢).

وقال رحمه الله أيضاً في هذا السياق: «فلا ريب أن التقرب إلى الله بسماع الغناء الملحن لاسيما مع آلات اللهو مما يعلم بالضرورة من دين الإسلام، بل ومن سائر شرائع المسلمين أنه ليس مما نتقرب به إلى الله، ولا مما تزكى به النفوس وتطهر من أدناسها وأوصارها، ولم يشرع على لسان أحد من الرسل في ملة من الملل أشياء من ذلك، وإنما يأمر بتزكية النفوس بذلك من لا يتقيد بمتابعة الرسل من أتباع الفلاسفة كما يأمر بعشق الصور، وذلك كله مما تحيى به النفوس الأمارة بالسوء لما لها من الحظ ويقوى به الهوى وتموت به القلوب المتصلة بعلام الغيوب، وتبعد به عنه»^(٣).

وقال ابن كثير (ت ٧٤٤هـ) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [لقمان: ٦]^(٤).

إن لهو الحديث هو: الغناء، وذكر أن المعازف واللعب واتباع الشهوات، وكل ما يصد عن ذكر الله، هي ما كانت تتلو الشياطين^(٥).

وقال رحمه الله في وصفه سماع الصوفية؛ بأنه سماع شيطاني، فقال ترجمة الشيخ أبو الرجال المنيني "الشيخ الزاهد العابد.. كانت له أحوال ومكاشفات.. وكانت له زاوية ببلده، وكان بريئاً من

(٣) نزهة الأسماع، ص (٨٢).

(٤) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ط ٩، لبنان، بيروت، دار المعرفة، ١٣٩٣هـ (٢٠٧٣/٣-٤٥١).

(٥) نفس المرجع (١/١٣٩).

(١) المدخل لابن الحاج (١٠٠/٣).

(٢) نزهة الأسماع في مسألة السماع لابن رجب، تحقيق الوليد الفريان، ط ١، الرياض، دار طبية للنشر والتوزيع، ١٤٠٧هـ ص (٨٠-٨١).

هذه السماعات الشيطانية" (١) .

وقال ابن تيمية رحمه الله في معرض إنكاره على هؤلاء المبتدعة: «... كثير من الأشعار التي يسمعونها أهل السماع -الصوفية-، قد يتضمن من الكذب على الله، والتكذيب بالحق: أنواعاً» (٢).

وأضاف: وصار من هؤلاء من يُنشد أشعار الفساق، والفجار، والكفار، بل وينشدون ما لا يستجيزه أكثر أهل التكذيب، وإنما يقوله: أعظم الناس كفرًا برب العالمين، وأشدهم بُعدًا عن الله ورسوله، والمؤمنين وزادوا على ذلك في أنواع الآلات، ما زادوا به الفتنة، حتى ربا فيها الصغير، وهرم فيها الكبير، حتى اتخذوا ذلك دينًا وعادة، وجعلوا من الوظائف الراتبية، بالغداة، والعشي، كصلاة الفجر، والعصر، وفي الأوقات، والأماكن، الفاضلات، واعتاضوا به عن القرآن، والصلوات (٣).

وقال القاضي أبو الطيب طاهر الطبري (ت ٤٥٠هـ) رحمه الله: «اعتقاد هذه الطائفة مخالف لإجماع علماء المسلمين، فإنه ليس فيهم من جعله دينًا وطاعة ولا روى إعلانه في الجوامع والمساجد، وحيث كان من البقاع الشريفة والمشاهد الكريمة، فكان مذهب هذه الطائفة مخالفًا لما اجتمعت العلماء عليه ونعوذ بالله من سوء التوفيق (٤).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في معرض إنكاره على الصوفية: «وأما اتخاذ التصفيق والغناء والضرب بالدفوف، والنفخ في الشبابات والاجتماع على ذلك دينًا وقربة وطريقًا إلى الله، فهذا ليس من دين الإسلام وليس مما شرعه لهم نبيهم محمد ﷺ، ولا أحد من خلفائه، ولا استحسَن ذلك أحد من أهل الدين ولم يفعل ذلك على عهد رسول الله ﷺ، ولا عهد الصحابة ولا تابعيهم بإحسان ولا تابعي التابعين، بل لم يكن أحد من أهل الدين من الأعصار لا بالحجاز ولا بالشام ولا باليمن، ولا العراق ولا خراسان ولا المغرب ولا مصر يجتمع على مثل هذا السماع وإنما ابتدع في الإسلام بعد القرون الثلاثة، ولهذا قال الشافعي لما رأى ذلك: «خلفت ببغداد شيء أحدثته الزنادقة» (٥).

كما أنكر الطرطوشي على الصوفية رقصهم وتواجدهم، وعدّ ذلك من البطالة والجهل والضلال، وقال أنه دين الكفار وعِبَاد العجل، قال ذلك ردًا على سؤال وجه له، جاء فيه: ما يقول سيدنا الفقيه في مذهب الصوفية؟ وأعلم... أنه اجتمع جماعة من رجال، فيكثرون من ذكر الله تعالى، وذكر محمد ﷺ، ثم إنهم يوقعون بالقضيب على شيء من الأديم، ويقوم بعضهم بالرقص ويتواجد حتى يقع مغشياً عليه، ويحضرون شيئاً يأكلونه، هل الحضور معهم جائز أم لا؟ أفتونا مأجورين يرحمك الله، وهذا القول

(١) البداية والنهاية، ١٣/٣٩٠-٣٩١.

(٢) الاستقامة لابن تيمية (١/٢٢٥).

(٣) انظر: الاستقامة (١/٣٠٦-٣٠٨).

(٤) الرد على من يحب السماع/ القاضي طاهر الطبري، دراسة وتحقيق: مجدي السيد ط (طنطا - دار الصحابة للتراث - ١٤١٠هـ).

ص(٣٢).

(٥) انظر: السماع والرقص لابن تيمية مكتبة السنة المحمدية، ص(٤٧).

الذي يذكرونه:

يا شيخ كف عن الذنوب قبل التفرق والزلل
واعمل لنفسك صالحا مادام ينفعك العمل
أما الشباب فقد مضى ومشيب رأسك قد نزل

وفي مثل هذا ونحوه.

فأجاب رحمه الله: مذهب الصوفية بطالة وجهالة وضلالة، وما الإسلام إلا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وأما الرقص والتواجد فأول ما أحدثه أصحاب السامري، لما اتخذ لهم عجلا جسدا له خوار قاموا يرقصون حواليه ويتواجدون؛ فهو دين الكفار وعباد العجل، وأما القضيب فأول من اتخذ الزنادقة ليشغلوا به المسلمين عن كتاب الله تعالى، وإنما كان مجلس النبي ﷺ مع أصحابه كأنما على رؤوسهم الطير من الوقار، وينبغي للسلطان ونوابه أن يمنعهم من الحضور في المساجد وغيرها؛ ولا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضر معهم، ولا يعينهم على باطلهم؛ هذا مذهب مالك وأبي حنيفة والشافعي، وأحمد بن حنبل وغيرهم من أئمة المسلمين وبالله التوفيق»^(١).

وأكرر أبو العباس القرطبي (ت ٦٥٦هـ) على الصوفية رقصهم، وعدّه من المبتدعات في الدين يقول: « لا يخفى على من له من العقل أدنى مسكه، إذا تأمل

بأدنى فكره: إن الرقص بالحركات الموزونات على أحيان الغناء والقينات وتقطيع المزامير والطارات من أفعال أهل المجون والباطلات، وإن ذلك لا يليق بالعقلاء ولا يناسب أحوال الفضلاء، ولذلك قال الجنيد: « الرقص نقص » وقال الغزالي: « الرقص حماقة،، وذلك أن العقلاء بما هم كذلك ينزهون أنفسهم عن مشابهة السفلة الطغام ومشاكله الصبيان والنسوان وعن الاتسام بسمة المخانيث أهل الفسوق والعصيان ».

حتى قال: « ومن الذي يرضى لنفسه بذلك أو يدخل في شيء مما هنالك: كلا والله لا يرضى بذلك عاقل، ولا يتعاطاه فاضل، ثم أي فائدة تحصل فيه في الدنيا، أو أي ثواب يترتب عليه في الأخرى، وإذا عرى عن ذلك تحقق أنه عبث وهوى ».

إلى قوله: «... ولذلك لم ينقل من نبي من الأنبياء، ولا ولي من الأولياء، ولا عالم من متقدمي العلماء القول بإباحة الرقص على المزامير والأوتار، وهز المناكب والأرداف كلما صلصل الدف والطارة ومن ادعى نقل شيء من ذلك عن من يوثق بعلمه ويرجع إلى فتواه وفهمه طالبناه بتصحيح نقله وإثبات قوله»^(٢).

وقد سئل تقي الدين السبكي (ت ٧٥٦هـ) عن الرقص والدف وعن حضور السماع، فأجاب عنه بقوله:

(١) الجامع لأحكام القرآن، محمد القرطبي، بيروت، دار إحياء التراث العربي (٢٣٧/١١-٢٣٨)، المعيار المعزب، أحمد الونشريسي، إشراف د. محمد جحي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٤٠١هـ (١٦٢/١١-١٦٣).

(٢) كشف القناع عن حكم الوجد والسماع لأبي العباس القرطبي، تقديم وتحقيق وتخريج د. عبدالله الطريقي، ط ١، ١٤١١هـ ص (١٤٣-١٤٤).

الإسلام بالدين، يزعمون أنهم خواص الإسلام، قضوا حياتهم لذة وطرباً، واتخذوا دينهم لهواً ولعباً، مزامير الشيطان أحب إليهم من استماع سور القرآن»^(٣).

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله في معرض رده وإنكاره على هؤلاء الصوفية أهل السماع: «لو كان سماعك بالله، وعن الله، كما تقول: لدلت على صدقك شواهد ذلك: من سماع كلامه وأسمائه، وصفاته، ومواعظه، ... وما يدعو إلى صحبته، ويباعد عن سخطه، ولم يكن سماعك، لشيء لا يشاربه إلى الخالق، وإنما يشار به إلى الخمر، والمسكر، والمليحة، والمليح وطيب وصالحهما، وعذوبته، وتوابع ذلك. فتعالى الله، وتتزه جنابه، وجلّت عظمته، أن يشار إليه بذلك، أو يستجلب رضاه، وقربه.

كلا والله، إن استجلب بذلك، إلا مقتته، والبعد منه. وكيف يجوز أن توجد الإشارات إلى الله سبحانه، والتغزل في النساء والمردان، وأين هذا مما يجب له -سبحانه- من الهيبة، والتعظيم، والوقار، والإجلال لعظمته، وخشيته، والخوف منه؟ وقد آل بهم هذا إلى أن أطلقوا في حقه -سبحانه- ما يطلقه هؤلاء العشاق في معشوقيه، من الصد، والهجر، والوصال، وتوابع ذلك، ونشأت من ذلك الشطحات، والطامات، والرعنات التي هي ضد طريق العبودية»^(٤).

وأما احتجاج الصوفية بقوله تعالى ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ

واعلم بأن الرقص والدف الذي فيه خلاف للأئمة قبلنا لكنه لم يأت قط شريعة والقائلون بحله قالوا به فمن اصطفاه لدينه متعبداً والعارف المشتاق وإن هو هزه لا لوم يلحقه ويحمد حاله سألت عنه وقلت في أصوات شرح الهداية سادة السادات طلبته أو جعلته في القربات كسواه من أحوالنا العادات لحضوره فأعدوه في الحرات وجد فقام بهم في سكرات بأطيب ما يلقي من اللذات^(١)

وعدّ الآجري (ت ٣٦٠هـ): الذي يحضر الأفراح التي توجد فيها أنواع اللهو مثل: الطبلية، والمزمار، والمعازف، والعود، والطنبور، والمغني، والمغنيات، فقد عصى الله -ﷻ- وأذى بذلك الفعل المؤمنين فيكثر الدعاء عليه تقبيح ما أظهر مما نهى عنه^(٢).

وقال الإمام ابن القيم (ت ٧٥١هـ) في الذين يستمعون الغناء وآلات اللهو ويرقصون على أنغامها من الصوفية: «فلو رأيت عند ذياك السماع وقد خشعت منهم الأصوات وهدأت منهم الحركات، وعكفت قلوبهم بكليتها عليه، وانصببت انصبابة واحدة إليه، فتمايلوا له ولا كتمايل النشوات، وتكسروا في حركاتهم ورقصهم، رأيت تكسر المخانيث والنسوان؟ ويحق لهم ذلك، وقد خالط حماره النفوس، ففعل فيها أعظم ما يفعله حُميا الكؤوس، فلغير الله، بل للشيطان، قلوب تمزق وأثواب تشقق وأموال في غير طاعة الله تتفق، ... ويا شماتة أعداء

(١) كف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع لأبي العباس أحمد بن حجر الهيتمي، تحقيق محمد عطا، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٦هـ ص (٨٣).

(٢) انظر كتاب الشريعة لأبي بكر محمد الآجري، تحقيق محمد إسماعيل ط (بدون: دار الكتب العلمية - ١٤١٦هـ) ص (٤٤٥).

(٣) إغاثة اللهفان (١/٢٢٤).

(٤) الكلام على مسألة السماع، لابن القيم، تحقيق محمد عزيز شمس، راجعه محمد أجمل الإصلاحي، مجمع الفقه الإسلامي، جدة، إشراف الشيخ بكر أبو زيد، ط ١، ١٤٣٢هـ، ص (١٧١).

اللَّهِ قِيمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ ﴿١٩١﴾ [آل

عمران: ١٩١] على بدعهم وغنائهم وتمايلهم، فهو في الحقيقة؛ بعيد جدا ومردود لأسباب منها:

أن الآية الكريمة بينت أنهم « يتفكرون » والصوفية يعترفون بأنهم « يغيبون » ويحصل لهم ما يشبه السكر والغيبة.

أن الآية الكريمة ذكرت أنهم يذكرون الله على جنوبهم أيضا، والصوفية إنما يتمايلون قياما وقعودا.

أن السلف الصالح كانوا يعملون بما في القرآن، ولم يكن عملهم بهذه الآية على النحو الذي يفعله الصوفية، ولا فعله رسول الله ﷺ، ففي الآية دليل على أن الذاكرين يذكرون الله على كل أحيانهم، كما كان حال النبي ﷺ، فإنه كان يذكر الله على كل أحيانه: قائما وقاعدا، وعلى جنبه.

أيضا كان الصحابة -رضوان الله عليهم- عند سماعهم القرآن، كأن على رؤوسهم الطير من الخشية، وما كانوا يزيدون على البكاء والخشوع. ففي حديث العرياض بن سارية رضي الله عنه قال: « وعظنا رسول الله ﷺ موعظة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب »^(١).

قال أبو بكر الآجري: « ولم يقل: صرخنا، ولا ضربنا صدورنا، كما يفعل كثير من الجهال الذين يتلاعب بهم الشيطان »^(٢).

ولما تعلق الصوفية في القيام والقول بقوله تعالى ﴿إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الكهف:

١٤]، مستدلين بذلك على رقصهم وتمزيقهم الثياب.

حرّم ذلك الفعل القرطبي (ت ٦٧١هـ) في الجامع لأحكام القرآن بقوله: « وهذا تعلق غير صحيح، هؤلاء قاموا فذكروا الله على هدايته، وشكروا لما أولاهم من نعمه ونعمته، ثم هاموا على وجوههم منقطعين إلى ربهم خائفين من قومهم، وهذه سنة الله في الرسل والأنبياء والفضلاء والأولياء.

أين هذا، من ضرب الأرض بالأقدام والرقص بالأكمام!! وخاصة في هذه الأزمان، عند سماع الأصوات الحسان من المرد والنسوان! هيهات! بينهما -والله- ما بين الأرض والسماء. ثم هذا حرام عند جماعة العلماء »^(٣).

وقال الشاطبي (ت ٧٩٠هـ) رحمه الله عن هذا التعلق الصوفي بهذه الآية: « أين فيه أنهم قاموا يرقصوا، أو يرفنون، أو يدورون على أقدامهم » لكن هؤلاء الفقراء ليس لهم من التواجد إلا تهيج الطباع إلى ما يناسبها، وهي الحركات على اختلافها، وهذا هو المذموم؛ فهم إذا متواجدون بالنغم والألحان لا يدركون من معاني الحكمة شيئا، فقد باؤوا إذا بأخسر الصفتين نعوذ بالله^(٤).

وقد ردّ ابن قدامة رحمه الله تعالى على بعض شبه المجيزين للغناء -ومنهم الصوفية- في رسالته إلى

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٦٦/١٠).

(٤) الاعتصام لأبي إسحاق إبراهيم الشاطبي، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، ط ١ (بيروت: دار الكتاب العربي - ١٤١٧هـ) (٢١٥/١).

(١) مسند الإمام أحمد، ط ٥، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٥هـ (١٢٦/٤).

(٢) تلبس إبليس ص (٢٥٢).

اضطجع على فراشه، وحول وجهه عنهما، فلو كان ﷺ يقصد الاستماع لما فعل ذلك.

ثم يرد عليهم احتجاجهم بهذا الحديث؛ بإنكار أبي بكر ﷺ ذلك وتسميته إياه «مزار الشيطان» ولم ينكر عليه النبي ﷺ هذه التسمية، فكيف يكون مزار الشيطان قرينة وطاعة إلى الله؟!.

ثم إن الجويريتين صغيرتان، دون البلوغ، غير مكلفتين، كانتا تغنيان بشعر من أشعار العرب في بيت عائشة رضي الله عنها، وهي صغيرة وسماع الصوفية وأشعارهم بخلاف هذا، فكيف يقاس فعل الجاريتين بما تفعله الصوفية في حلقات السماع من الرقص؟!.

قال ابن تيمية: فهذا قياس فاسد وتشبيه للشيء بما ليس مثله^(٤).

كذلك رد طاهر الطبري احتجاجهم بحديث عائشة قائلاً: «إن هذه حجة لنا، فإن أبا بكر - ﷺ - سمي ذلك مزار الشيطان، ولم ينكر النبي ﷺ على أبي بكر في قوله، وإنما منعه النبي ﷺ من التغليظ في الإنكار، والتسرير للصبايا الذي هو يوم السرور.

ألا ترى إلى ما روي في هذا الحديث أن أبا بكر - ﷺ - غمزهما فخرجتا، وقد كانت عائشة - رضي الله عنها - طفلة في ذلك الوقت، ولم ينقل عنها بعد بلوغها، وتحصيلها إلا ذم الغناء، والمعازف.

وقد كان ابن أخيها القاسم بن محمد، وهو أحد فقهاء المدينة السبعة يذم الغناء، ومنع من سماعه، وقد

ابن الحنبلي التي أنكر فيها إباحته لبعض أنواع الغناء ومنها احتجاجه بحديث الجاريتين الذي احتج به الصوفية قائلاً:

«وأما استدلالهم بحديث الجواري اللاتي ندبن آباءهن، فما منه ذكر الغناء، فإن كان النبي ﷺ أرخص لهن في ذلك، فليس منه ما يوجب المدح في حق عقلاء الرجال المتوسمين بالدين والعبادة، .. ولم يكن النبي ﷺ ولا غيره ينكرون على الصبيان لعبهم، ولا فعالهم التي تستقبح من غيرهم، مثل المصافحة، والمفاقة^(١)، بالبيض الأحمر، والعدو في الطرقات، وحمل بعضهم بعضاً، وأشياء لو فعلها المميز البالغ لرتت شهادته، وسقطت عدالته^(٢).

ثم ذكر ابن قدامة أن احتجاجهم لسماع النبي ﷺ لذلك لا يدل على أن الرسول ﷺ قصد سماع الجاريتين، فهناك فرق بين السماع والاستماع، فالسماع يكون من غير قصد، بخلاف الاستماع الذي يقصد صاحبه أن يسمع الكلام، وبين ابن قدامة أن فعل الرسول ﷺ كان السماع، لا الاستماع، قال مبيّن هذا: «فإن قالوا: نحن إنما نحتج بسماع النبي ﷺ من الجويريات، فنحن نسمعه كما سمعهن، قلنا: أخطأتم في النظر، وجهلتم الفرق بين فعل النبي ﷺ وفعلكم، فإن المنقول عن النبي ﷺ السماع له، وأنتم تفعلون الاستماع، والسماع غير الاستماع^(٣).

ومما يعضد ذلك أن النبي ﷺ عندما سمع الجاريتين

(١) المفاقة بالبيض، مأخوذ من فقس البيضة يُفَقَسُ إذا فضخها. انظر: لسان العرب (٣٠٣/١٠).

(٢) ذيل طبقات الحنابلة ١٥٨/٤.

(٣) ن. م (١٥٨/٤).

(٤) انظر: الاستقامة لابن تيمية (٢٨٦/١).

المحدثين، وإنما هي أحاديث مروجة وأكاذيب مبهرجة وضعها الزنادقة وأهل المجون المخرفة يرمون بذلك نسبة اللهو والمجون إلى الأنبياء الفضلاء»^(٥).

قال أحمد الأذري (ت ٧٨٣هـ): «وأطال القرطبي في ردّ هذا الحديث الباطل المختلق، وما قاله حق لا ينزع فيه أحد من أهل المعرفة بالحديث، ولا شك فيه، فالله حسيب مفتريه»^(٦).

وقال ابن القيم رحمه الله عن حديث تواجد رسول الله ﷺ: «ومن ذلك حديث: حضر رسول الله ﷺ سماعاً، ورقص حتى شق قميصه، فلعن الله واضعه، ما أجرأه على الكذب السمج»^(٧).

وقال رحمه الله في موضع آخر عن هذا الحديث: «... وركاكة شعره، وسماجته، وما تجد عليه من الثقاله، من أبين الشواهد على أنه من شعر المتأخرين البارد، السمج، فقبح الله الكاذبين على رسول الله ﷺ ...»^(٨).

أيضاً قال الشاطبي (ت ٧٩٠هـ) رحمه الله عن حديث التواجد: «فمنها اعتمادهم على الأحاديث الواهية الضعيفة، والمكذوبة فيها على رسول الله ﷺ التي لا يقبلها أهل صناعة الحديث في البناء عليها

أخذ العلم عنها، وتأدب بها، فبطل ما قاله هذا القائل»^(١).

وعدّ الطرطوشي رحمه الله ما يفعله المتصوفة عند السماع من الرقص والطرب وتمزيق الثياب من السخافة وانعدام المروءة والوقار قائلاً: «وأما الرقص والدق»^(٢)، وكشف الرأس وتمزيق الثياب فلا خفاء على ذي لب أنه سخف ولعب ونبذ للمروءة والوقار ولما كان عليه الأنبياء والصالحون»^(٣).

وقد ردّ أبو العباس القرطبي على الصوفية استدلالهم بحديث أنس -رضي الله عنه- لما أنشد الأعرابي: قد لسعت حية الهوى كبدي.... فقال إن الحديث لا يصح لإن محمد بن طاهر المقدسي، لا يحتج بحديثه؛ لأنه قد تكلّم فيه ونسب إلى مذهب الإباضية وعنده مناكير في كتابه المسيء «صفة أهل التصوف»، وهذا الحديث منها:

وقال: «إن الواقف على متن هذا الحديث يعلم على القطع أنه مصنوع موضوع لأن الشعر الذي فيه لا يناسب شعر العرب، ولا يليق بجزالة شعرهم ولا ألفاظهم وإنما يليق بمخنثي شعر المولدين»^(٤).

وقال في موضع آخر: «إن هذا الحديث مما لا يوجد مسنداً ولا أخرجه في كتابه أحد من أئمة

(٥) كشف القناع ص (١٠١-١٠٢).

(٦) كف الرعاع ص (٧٠).

(٧) المنار المنيف في الصحيح والضعيف، لابن القيم، تحقيق عبدالرحمن المعلمي، أعده وأخرجه منصور السماري، ط ٢، الرياض، دار العاصمة، ١٤١٩هـ ص (١٠٦).

(٨) الكلام على مسألة السماع لابن القيم، تحقيق ودراسة: راشد الحمد (دار العاصمة - الرياض - الطبعة الأولى - ١٤٠٩هـ) ص (٣٢٣).

(١) الرد على من يحب السماع ص (٥٣).

(٢) الدق: الضرب بالشئ، وإظهار العيوب والعورات. انظر: المعجم الوسيط ١/ (٢٩١).

(٣) رسالة في تحريم الجبن الرومي وكتاب تحريم الغناء والسماع، أبو بكر الطرطوشي، تحقيق وتقديم ووضع فهرس عبدالمجيد تركي، ط ١، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٧م ص (٢٦٣).

(٤) كشف القناع ص (١٦١).

الصفوة « ورواه من طريقه أبو حفص عمر السهروردي صاحب « عوارف المعارف »، أن النبي ﷺ: أنشده أعرابي

قد لسعت حية الهوى كبدى.... الأبيات

وأنه تواجد حتى سقطت البردة عن منكبيه، فقال له معاوية: « ما أحسن لهوكم، فقال له مهلاً يا معاوية، ليس بكريم من لم يتواجد عند ذكر الحبيب ». فهذا حديث مكذوب موضوع باتفاق أهل العلم بهذا الشأن^(٣).

وقال محمد بن موسى الدميري (ت سنة ٨٠٨هـ): « من نسب السماع إلى رسول الله ﷺ يؤدي أدباً شديداً، ويعزّر تعزيراً بليغاً، ويدخل في زمرة الكاذبين عليه ﷺ »^(٤).

وعدّ أحمد الأذري هؤلاء المتفجرة ومن حدا حذوهم من المتفقهه -ويقصد في ذلك المتصوفة-؛ من المتوهمين، المغرمين بالرقص، وما يقومون به خطأ صريح، وجهل قبيح^(٥).

ولقد شبّه الطرطوشي الصوفية ببني إسرائيل، عندما اتخذوا عجلاً آلهة للعبادة دون الله، وقيامهم بالرقص والتواجد له، وذمهم على هذا الفعل بقوله: « فانظروا - رحمكم الله! - كيف يجوز على نبي من أنبياء الله أن يتخذ عجلاً للعبادة من دون الله تعالى ثم يرقص هو وهم

كحديث... أن النبي ﷺ تواجد واهتز عند السماع، حتى سقط الرداء عن منكبيه، وما أشبه ذلك، فإن ناقل أمثال هذه الأحاديث -على ما هو معلوم- جاهل ومخطئ في نقل العلم الشرعي، فلم ينقل الأخذ بشيء منها عن معتد به، في طريق العلم، ولا طريق السلوك^(١).

ونقل الحافظ ابن حجر رحمه الله في فتح الباري في معرض إنكاره للسماع الصوفي، قول القرطبي: « وأما ما ابتدئته الصوفية في ذلك -السماع-، فمن قبيل ما لا يُختلف في تحريمه، لكن النفوس الشهوانية غلبت على كثير ممن ينسب إلى الخير، حتى لقد ظهرت من كثير فيهم فعلات المجانين والصبيان، حتى رقصوا بحركات متطابقة، وتقطيعات متلاحقة، وانتهى التوافق بقوم منهم إلى أن جعلوها من باب القرب وصالح الأعمال، وإن ذلك يثمر سني الأحوال. وهذا على التحقيق: من آثار الزندقة وقول أهل المخرقة، والله المستعان »^(٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن هذا الحديث: « ولم يكن النبي ﷺ ولا أصحابه يجتمعون على مثل هذا السماع ولا حضروه قط، ومن قال أن النبي ﷺ حضر ذلك فقد كذب عليه باتفاق أهل المعرفة بحديثه وسنته. والحديث الذي ذكره محمد بن طاهر المقدسي في « مسألة السماع » وفي « صفوة

(٣) فتاوى ابن تيمية (١١/٥٦٢، ٥٦٣).

(٤) الرهص والوقص لمستحل الرقص، إبراهيم الحلبي صححه وعلق عليه حسن السويديان، وقد م له عبدالقادر الأرناؤوط ط ١ (دمشق -

دار البشائر، ١٤٢٣هـ) ص (٤٨).

(٥) انظر: كف الراع ص (٧٤).

(١) الاعتصام للشاطبي، تحقيق عبدالرزاق المهدي، ط ١، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤١٧هـ (١/١٨٢).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، ط ١، القاهرة، دار الرياض للتراث، ١٤٠٧هـ (٢/٣٦٨).

السماع مستحب لهم لحياة قلوبهم. قال هذا غلط من خمسة أوجه:

أحدها: أن أبا حامد الغزالي قال بإباحة سماعه لكل أحد. وأبو حامد أعرف من القشيري الذي روى ذلك.

الثاني: أن طباع النفوس لا تتغير وإنما المجاهدة تكف عملها. فمن ادعى تغير الطباع ادعى المحال. فإذا جاء ما يحرك الطباع. واندفع الذي كان يكفها عنه عادت العادة.

الثالث: أن العلماء اختلفوا في تحريمه وإباحته وليس فيهم من نظر في السماع لعلمهم أن الطباع تتساوى، فمن ادعى خروج طبعه عن طباع الآدميين ادعى المحال.

الرابع: أن الإجماع انعقد على أنه ليس بمستحب، وإنما غايته الإباحة، فادعاء الاستحباب خروج عن الإجماع.

الخامس: أنه يلزم من هذا أن يكون سماع العود مباحا أو مستحبا عند من لا يغير طبعه؛ لأنه إنما حرم لأنه يؤثر في الطباع ويدعوها إلى الهوى»^(٥).

كما ردّ ابن الجوزي على افتراء القشيري بجواز السماع الذي أعقبه بالاحتجاج بقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾^(٦) [الغاشية: ١٧]، قائلا:

هذه الآية لا تدل على الغناء ولا على الرقص ولا على السماع الصوفي، لكن هؤلاء وضعوها في غير مواضعها، وحادوا بها عن سواء السبيل.

تعظيما للعجل على أنه إلههم!، فما أشبه عقول قوم قد جعلوا الرقص عبادة لله تعالى بعقول بني إسرائيل في تجويزهم على نبي الله تعالى!، أن يتخذ إلهها يتعبد له بالرقص والقربى من دون الله ﷻ فمن زعم أن الرقص عبادة لله سبحانه! يرقصون بين يديه ويتواجدون له فإلهه عجل، جسد له خوار»^(١).

وهذا أبو الوفاء ابن عقيل (ت ٥١٣هـ) رحمه الله، الذي عندما سمع بعض الصوفية يقول: إن مشايخ هذه الطائفة كلما وقفت طباعها حذاها الحادي إلى الله بالأناشيد، ردّ عليه بقوله: « لا كرامة لهذا القائل إنما تحدى القلوب بوعده الله في القرآن ووعيده وسنة الرسول ﷺ، لأن الله -ﷻ- قال: ﴿وَإِذَا تُبِيتَ عَلَيْهِمْ ءَايَتُهُ وَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾^(٢)، وما قال: وإذا أنشدت عليه القصائد طربت. فأما تحريك الطباع بالألحان فقاطع عن الله والشعر يتضمن ضيقة المخلوق والمعشوق مما يتعذر عنه فتنه، ومن سؤلت له نفسه النقاط العبر من محاسن البشر وحسن الصوت فمفتون»^(٣).

وكفر ابن عقيل من يعتقد أن الدعاء وقت السماع مجاب بناءً على أنه قرينة يتقرب بها إلى الله تعالى؛ لأن من اعتقد الحرام أو المكروه قرينة كان بهذا الاعتقاد كافرا»^(٤).

وردّ ابن الجوزي على الصوفية، عندما زعموا أن

(١) ن. م ص (٢٦٩-٢٧٠).

(٢) سورة الأنفال، آية (٢).

(٣) تلبس إبليس ص ٢٤٦.

(٤) ن. م ص (٢٤٨-٢٤٩).

(٥) انظر: تلبس إبليس ص (٢٤٨-٢٤٩).

وما أدق عبارة ابن الجوزي حين قال: « والعجب من ورعهم في الطعام وانبساطهم في القرآن »^(١).

وشدد ابن بطة (ت ٣٨٧هـ) الإنكار على الصوفية في هذه المسألة قائلاً: « سألني سائل عن استماع الغناء، فنهيته عن ذلك، وأعلمته أنه مما أنكره العلماء، واستحسنه السفهاء، وإنما يفعله طائفة سموا بالصوفية، وسماهم المحققون الجبرية أهل همم دنيئة، وشرائع بدعية، يظهرون الزهد وكل أسبابهم ظلمة، يدعون الشوق والمحبة بإسقاط الخوف والرجاء، يسمعون من الأحداث والنساء ويطربون، ويصعقون، ويتغاشون ويتماوتون ويزعمون أن ذلك من شدة حبهم لربهم وشوقهم إليه تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً »^(٢).

وعدّ ابن الجوزي تصفيق الصوفية عند السماع خروجاً من السمات والاعتدال، قائلاً: « والتصفيق منكر... يخرج من الاعتدال، ويتنزه عن مثله العقلاء، ويتشبه فاعله بالمشركين، فيما كانوا يفعلونه عند البيت من التصدية، وهي التي ذمهم الله ﷻ بها فقال: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً﴾^(٣).

فالمكاء: الصغير، والتصدية: التصفيق... ومنه أيضاً تشبّه بالنساء، والعاقل يأنف من أن يخرج من الوقار

إلى أفعال الكفار والنسوة »^(٤).

كما عدّ القاضي عياض قسم من الصوفية؛ جهلة، وذلك عندما استحوذ عليهم الشيطان، وغلب عليهم الطغيان والعصيان، فاحتفلوا بالرقص والسماع والشهوات التي تثيرها الطباع، لا يقتفون بذلك شرعا ولا يجتنبون أمرا بدعا. وعدّهم من ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾^(٥).

كما أنكر القاضي عياض رحمه الله على الصوفية قولهم بجواز السماع، وذكر ذلك في ترجمة مالك رحمه الله: « قال التنيسي: كنا عند مالك وأصحابه حوله، فقال رجل من أهل نصيبين^(٦): عندنا قوم يقال لهم الصوفية، يأكلون كثيرا، ثم يأخذون في القصائد، ثم يقومون فيرقصون؟.

وقال مالك: أصبيان هم؟ قال: لا، قال: أمجانين هم؟ قال: لا، هم قوم مشايخ، وغير ذلك عقلاء، فقال مالك: ما سمعت أن أحدا من أهل الإسلام يفعل هذا! »^(٨).

وعندما استفتي الشيخ أبوإلياس محمد بن الحسين البزدوي (ت ٤٩٩هـ) في شأن متصوفة زمانه، قال فيهم: « إن الصوفية أنواع وأصناف: فيهم قوم

(٤) تلبس إبليس، ص (٢٥٨).

(٥) سورة الكهف، آية (١٠٤).

(٦) انظر: الموفي بمعرفة التصوف والصوفي، ص (٧٠-٧١).

(٧) نصيبين: مدينة عامرة على جادة القوافل من الموصل إلى الشام.

انظر: معجم البلدان (٢٨٨/٥).

(٨) ترتيب المدارك وتقريب المسالك، للقاضي عياض، تحقيق عبدالقادر الصحرأوي، ط ٢، المغرب، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، ١٤٠٣هـ / ٢٠٤٠.

(١) تلبس إبليس ص (١٥٩).

(٢) تلبس إبليس ص (٢٣٧).

(٣) سورة الأنفال، آية (٣٥).

وعندما احتج جهال الصوفية على جواز طربهم ورقصهم بقوله تعالى: ﴿أَرْضُ بَرِّجِكَ﴾ [ص: ٤٢]، ردّ عليهم ابن عقيل مزاعمهم قائلاً: «أين الدلالة في مبتلى أمر عند كشف البلاء بأنه يضرب برجله الأرض لينبع الماء إعجازاً من الرقص؟!.

ولئن جاز أن يكون تحريك رجل قد أنحلها تحكم الهوام دلالة على جواز الرقص في الإسلام؛ جاز أن يجعل قوله سبحانه لموسى: أَنْمَنِيَّ [الأعراف: ١٦٠]، دلالة على ضرب المحادّ بالقضبان!! نعوذ بالله من التلاعب بالشرع» (٣).

وذمّ ابن عقيل رحمه الله الرقص، واستدل بتركه بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ [الإسراء: ٣٧، لقمان: ١٨]، قائلاً: «قد نصّ القرآن على النهي عن الرقص فقال: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾، وذمّ المختال والرقص أشد المرح والبطر. أو لسنا الذين قسنا النبيذ على الخمر لاتفاقهما في الإطراب والسكر، فما بالنا لا نقيس القضيب وتلحين الشعر معه على الطنبور والمزمار والطبل لاجتماعهما.

فما أقبح من ذي لحية، وكيف إذا كان شبيبة؟؟

يضرّبون بالمزامير، ويشربون الخمر ويأتون بعض الفواحش، ويلبسون ثياب الفسقة...، ورضوا بملء بطونهم من الطعام، حلالاً كان أو حراماً ويسكنون في الخانات ولا يكتسبون؛ بل ينامون في غالب الأزمان، يصلون قليلاً ويأكلون أكلاً لمّاً لمّاً. إن وجدوا فيزفنون -أي يرقصون- إن وجدوا قارئاً فاختاروا الكسل ولا يتعلمون ولا يتزوجون» (١).

وما أحسن إنكار ظهير الدين الموصلي (ت ٦١٠هـ) وقد شاهد أفعالهم المنكرة، ونظم بذلك شعراً هجا فيه شيخ زاوية الفقراء بالبوازيج البليدة القريبة من السلامة، قال فيه:

ألا قل لهم قول عبد نصوح	وحق النصيحة أن تستمع
متى علم الناس في ديننا	بأن الغناء سنة تتبع؟
وأن يأكل المرء أكل الحمار	ويرقص في الجمع حتى
وقالوا: سكرنا بحب الإله	يقــــــــــــــــع؟
كذلك البهائم إن أشبعت	وما أسكر القوم إلا
ويسكره النأي ثم الغناء	القصــــــــــــــــع
فيا للعقول ويا للهنى	يرقصها رينها والشبع
	ويس لو تليت ما انصدع
	ألا منكر منكم للبدع؟

تهان مساجدنا بالسماع وتكرم عن مثل ذاك البيع (٢)

الأعيان وأنبياء أبناء الزمان، لابن خلكان، تحقيق د. إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ١٩٦٩م (٣٧/٣-٣٨)، والموفي بمعرفة التصوف والصوفي ص (١٣، ١٤)، مع اختلاف يسير في الألفاظ فيما بين هذه المصادر.
(٣) تلبيس إبليس ص (٢٥٨)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢١٥/١٥).

(١) الصاعقة المحرقة على المتصوفة الرقصة المتزندقة، محمد بن صفى الدين الحنفي، تحقيق عبدالرحمن دمشقية ط ١ (الرياض - دار عالم الكتب، ١٤١٠هـ) ص (٤٠-٤١).

(٢) البداية والنهاية (٦٦/١٣)، وإغاثة اللفهان (٢٣١/١)، وانظر: وفيات

يرقص ويصفق على إيقاع الألحان والقضبان وخصوصاً إن كانت أصوات النسوان ومردان، وهل يحسن لمن بين يديه الموت والسؤال والحشر والصراط، ثم هو إلى إحدى الدارين يشمس^(١) بالرقص، شمس البهائم، ويصفق تصفيق النسوان، والله لقد رأيت مشايخ في عمري ما بان لهم سن من التبسم فضلاً عن الضحك مع إدمان مخالطي لهم^(٢).

ولما سئل ابن عقيل عن تواجد الصوفية، وتخريقهم ثيابهم، أنكر ذلك أشدّ الإنكار، وعدّه من الخطأ والحرام، وقد نهى رسول الله ﷺ عن إضاعة المال. فقال له قائل: فإنهم لا يعقلون ما يفعلون. فقال: إن حضروا هذه الأمكنة مع علمهم إن الطرب يغلب عليهم، فيزل عقولهم، أثموا بما أدخلوه على أنفسهم من التخريق وغيره مما يفسد ولا يسقط عنهم خطاب الشرع، لأنهم مخاطبون قبل الحضور بتجنّب هذا الموضوع الذي يفضي إلى ذلك، كما هم منهيون عن شرب المسكر، كذلك هذا الطرب الذي يسميه أهل التصوّف وجداً إن صدقوا إن فيه سكر طبع، وإن كذبوا أفسدوا مع الصحو، فلا سلامة فيه مع الحاليين، وتجنّب مواضع الريب واجب^(٣).

وشدد ابن عقيل رحمه الله الإنكار على الصوفية في هذه المسألة قائلاً: « هذه فتنةٌ ومحنةٌ دخلت على العقول من

غلبات الطباع والأهواء، وهل يحكم على العقول حق قط؟ وهل رأيت في السلف أو سمعت رجلاً زعق أو خرق؟ بل سماع صوت وفهم واستجابة، فدلّ على أن ذلك التخبّط ليس من قانون الشرع، لكن أمر بخفض الصوت وغضّه، وأما التواجد والحركة والتخريق فالأشبه بداعية الحق الخمود، تكلت نفسي حين أسمع القرآن ولا أخشع؛ وأسمع كلام الطريقين فيظهر مني الانزعاج^(٤). وعزا ابن الجوزي ذلك التواجد المفضي إلى تخريق الثياب والصياح إلى تمكّن الشيطان في عقول هؤلاء الجهلة، فقال: « وهذا التواجد الذي تضمن حركات المتواجدين وقوة صياحهم، وتخبّطهم، فظاھر أنه متعمّل، والشيطان معين عليه. فإن قيل: فهل في حق المخلص نقص بهذه الحالة الطارئة عليه؟ قيل: نعم من وجهين:

أحدهما: أنه لو قوي العلم؛ أمسك.

والثاني: أنه قد خولف به طريق الصحابة والتابعين، ويكفي هذا نقصاً^(٥).

ويقول أبو العباس القرطبي وهو يتهكم على الصوفية وجدّهم: « التواجد: استدعاء الوجد، لضرب من الاختيار؛ وذلك أنهم إذا اجتمعوا للسمع، فمنهم المتكلف حركة ظاهرة، مستجلباً بذلك حضور باطنه؛ فيميل يميناً، ويترنح يميناً وشمالاً، ويحرك رأسه ومنكبيه، ويضرب صدره، ويصفق بيده، إلى أن

(٤) الآداب الشرعية، لأبي عبد الله محمد بن مفلح، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعمر القيام ط٢ (بيروت-مؤسسة الرسالة-١٤١٧هـ) (٣٠٨/٢).

(٥) تلبيس إبليس ص (٢٥٧).

(١) شمس الدابة شمساً، وشماساً: جمحت ونفرت. انظر المعجم الوسيط ٤٩٣/١.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٢٦٣/١٠.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٢٨٨/٧، وتلبيس إبليس ص ٢٦١.

إذا اشتد طربهم على المغني. ثم منهم من يرمي بها صحاحا، ومنهم من يخرقها ثم يرمي بها. قال هؤلاء في غيبة فلا يلامون، فإن موسى عليه السلام لما غلب عليه الغم بعبادة قومه العجل رمى الألواح فكسرها ولم يدر ما صنع.»

قال ابن الجوزي: من يصحح عن موسى -عليه السلام- أنه رماها رمي كاسر؟ والذي ذكر في القرآن ألقاها. فمن أين لنا أنها تكسرت؟ ثم لو قيل: تكسرت فمن أين لنا أنه قصد كسرها؟ ثم لو صححنا ذلك عنه قلنا كان في غيبة حتى لو كان بين يديه بحر من نار لخاضه ومن يصحح لهؤلاء غيبتهم وهم يعرفون المغني من غيره، ويحذرون من بئر لو كانت عندهم، ثم كيف تقاس أحوال الأنبياء على أحوال هؤلاء السفهاء»^(٣). ورد ابن الجوزي على الصوفية احتجاجهم بقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(٤). على جواز الوجد والرقص وتمزيق الثياب بقصة مكذوبة على سلمان الفارسي على أنه عندما سمعها صاح صيحة ووقع على رأسه ثم خرج هاربا ثلاثة أيام^(٥). فرد ذلك الاحتجاج من وجوه:

الأول: أن هذا محال وكذب.

الثاني: ليس لذلك إسناد.

الثالث: الآية نزلت بمكة وسلمان أسلم بالمدينة.

الرابع: لم ينقل عن أحد من الصحابة مثل هذا

يستغرقه -بزعمه- الوجد...، وهذه أفعال مليحة، واجتماعات ذميمة، وأحوال صادرة عن اعتقادات سقيمة، فما هي إلا أحوال دحيضة، وعقول مريضة، ودعوى عريضة، وبذلك على ما ذكرناه: أن رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعين لهم بإحسان: لم يكونوا على شيء من تلك الأساليب والطرائق، ...ولا نطقوا بتلك العبارات، ولا ارتضوا تلك الإشارات، ولا اجتمعوا لذلك، ولا حوّموا على شيء عما هنالك، مع أنهم قدوة العارفين، وخيرة الله من العالمين، الفاهمون عن الله، الآخذون عن رسول الله ﷺ الذين اختارهم له، لحمل أمانته، وبيان شريعته، فلو كان الأمر على ما اخترعه أصحاب التواجد، لكان أولئك الملاء، أول سابق إليه، وأول واجد، وتتاطقوا بتلك العبارات، وأشاروا بتلك الإشارات، ولفشا ذلك في السابقين المتشرعين، كما فشا في المتأخرين المبتدعين، فلما لم يكن شيء من ذلك، علمنا أنه من المحدثات التي هي بدع وضلالات...»^(١).

وعندما احتج الصوفية على رميهم الثياب وتمزيقها بقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَنَ أَسِفًا قَالَ بِسْمَا خَلَقْتُونِي مِنْ بَعْدِي أَتَعْلَتُمْ أَمَرَ رَبِّكُمْ وَالْقَى الْأَلْوَحَ﴾^(٢).

رد ابن الجوزي عليهم احتجاجهم قائلًا: «استتل بعض جهال المتصوفة بهذه الآية على جواز رمي الثياب

(٣) تلبس إبليس ص (٢٦٠).

(٤) سورة الحجر، آية (٤٣).

(٥) راجع ص (١٧).

(١) كشف القناع ص (١٥٣-١٥٤).

(٢) سورة الأعراف، آية (١٥٠).

أصلاً^(١).

وقال سلطان العلماء الشيخ عز الدين بن عبد السلام (ت ٦٦٠هـ) أن الرقص لا يتعاطاه إلا ناقص العقل فهو يقول في ذلك: «وأما الرقص والتصفيق فخفة، ورعونة، مشابهة لرعونة الإنث لا يفعلها إلا أرعن أو متصنع جاهل، ويدل على جهالة فاعلها أن الشريعة لم ترد بهما لا في كتاب ولا في سنة ولا فعل ذلك أحد من الأنبياء ولا معتبر من أتباع الأنبياء وإنما يفعله الجهلة السفهاء الذين التبت عليهم الحقائق بالأهواء، وقد حرم بعض العلماء التصفيق على الرجال لقوله ﷺ «إنما التصفيق للنساء»^(٢)

وقال رحمه الله عن صياح الصوفية أثناء السماع: «وقد يصيح بعضهم لغلبة الحال عليه وإجائها إياه إلى الصياح ومن صاح لغير ذلك فمتصنع ليس من القوم في شيء، وكذا من أظهر شيئاً من القوم رياءً وتسميعاً فإنه ملحق بالفجار دون الأبرار»^(٣).

وفي كتاب (الصاعقة المحرقة على المتصوفة الرقصة المتزندقة) نقل محمد بن صفى الدين الحنفي كلاماً جميلاً ينكر فيه على الصوفية هذا السماع جاء فيه: «يجب منع الصوفية الذين يدعون الوجد والمحبة عن رفع الصوت وتمزيق الثياب عند سماع الغناء، لأن ذلك -أي رفع الصوت وتمزيق الثياب- حرام عند سماع القرآن فكيف عند سماع الغناء الذي

هو حرام، خصوصاً في هذا الزمان الذي اشتهر فيه الفسق، وظهرت فيه أنواع البدع، واشتهرت فيه طائفة تحلوا بحلية العلماء، وتزيتوا بزى العلماء، والحال أن قلوبهم ملئت من الشهوات الفاسدة، وهم في الحقيقة ذئاب، نعوذ بالله من شرهم»^(٤).

وانتقد ابن عقيل رحمه الله تعالى أحوال الصوفية التي يتمايلون فيها ويصيحون عند السماع وما يحدث لهم من صقع وغشيان، وحكم عليهم بالتعزير، قائلاً: «إن الشريعة تنهى عن تحريك الطباع بالرعونات وتمنع دق الطبول، ونهت عن النذب والنياحة والمرح وهو الخيلاء وعلمنا أن الشرع يريد الوقار دون الخلاعة، ويتساءل ابن عقيل بعد ذلك في صيغة الدهشة والتعجب، قائلاً: «فما بال التغيير والوجد وتخريق الثياب والصقع والتماوت مع هؤلاء المتصوفة؟ وكل تهيج من هؤلاء الوعاظ المنشدين من غزل الأشعار، وذكر الفساق، فهم كالمغني والنائح، فيجب تعزيرهم؛ لأنهم يهيجون الطباع»^(٥).

ورد الطرطوشي على الصوفية الاستدلال بالقياس على أن الجمل يقاسي التعب فيحدي له قائلاً: «انظروا يا ذوي الألباب كيف قادهم الهوى وعشق الباطل وقلة الحيلة إلى هذه السخافة، وحسبك من مذهب إمامهم فيه الأنعام، والصبيان في المهد -

(٤) الصاعقة المحرقة على المتصوفة الرقصة المتزندقة، تأليف محمد بن صفى الدين الحنفي، تحقيق عبدالرحمن دمشقية، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، الرياض، ط ١، ١٤١٠هـ، ص (٢٣).

(٥) الآداب الشرعية، لابن مفلح، تحقيق وضبط وتخريج أحاديث وتقديم شعيب الأرناؤوط وعمر الغنام، ط ٢، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٧هـ، (٣٠٧/٢).

(١) انظر: تلبيس إبليس ص (٢٥١).

(٢) قواعد الأحكام في مصالح الأنعام، للعز بن عبد السلام، تحقيق طه عبدالرؤوف سعد (دار الشرق - مصر ١٣٨٨هـ) (٢٢٠/٢، ٢٢١).

(٣) المرجع السابق (٢٢٢/٢).

يقصد بذلك الغزالي - وهكذا يفضح الله تعالى من اتبع الباطل، وحسبك من عقول لا تقتدي بأخبار المسلمين وعلمائهم وتقتدي بالإبل، فإن كان كل ما طربت له البهائم مندوباً أو مباحاً، فإننا نرى البهيمة تنزو على أمها وأختها وتركب بنتها، أفيلزم الاقتداء بالبهيمة في مثل هذا «^(١)».

كما بين علي بن أبي العز (ت ٧٩٢هـ) في الطحاوية، أن الصعق لم يكن من صفات السلف الصالح، ولو عند سماع القرآن، فقال في معرض ردّه على الصوفية: « وكذلك الذين يصعقون عند سماع الأنغام الحسنة، مبتدعون ضالون، وليس للإنسان أن يستدعي ما يكون سبب زوال عقله، ولم يكن في الصحابة والتابعين من يفعل ذلك، ولو عند سماع القرآن، بل كانوا كما وصفهم الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا دُكِّرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢]^(٢)».

وعندما أثر الصوفية السماع على قراءة القرآن؛ لزعمهم أنه أكثر رقة للقلوب منه؛ عزا ذلك ابن الجوزي إلى ميل هؤلاء القوم إلى الهوى وإشباع الرغبة بما هو باطل، فقال: « وقد نشب السماع بقلوب خلق منهم، فآثروه على قراءة القرآن، ورقّت

قلوبهم بما لا ترق عند القرآن، وما ذاك إلا لتمكّن هوى باطن، وغلبة طبع وهم يظنون غير هذا «^(٣)».

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى، منكرًا على الصوفية الذين آثروا السماع على قراءة القرآن:

لكنه إطراق ساهٍ لاهي	تُلِّي الكتاب فأطرقوا لا
والله ما رقصوا لأجل	خيفة
الله فمتى شهدت عبادة	وأتى الغناء فكالذباب
بملاهـــي	تراقصــوا
تقييده بأوامر ونواهي	دفّ ومزمار ونغمة شاهد
إطلاقه في اللهو دون	ثقل الكتاب عليهم لما رأوا
منـــاهي	وعليهم حفّ الغناء لما
وجنى عليه ومله إلا	رأوا يا فرقة ما ضر دين
هـــي	محمـــد
زجرًا وتخويًا بفعل	سمعوا له رعدًا وبرقًا إذ
منـــاهي	حـــوى
شهواتها يا ويحها	ورأوه أعظم قاطع للنفس
المتـــاهي	عـــن
فلأجل ذاك غدا عظيم	وأتى السماع موافقًا
الجـــاه	أغراضــها
خمر العقول مماثل	إن لم يكن خمر الجسوم
ومضـــاهي	فإنـــه
وانظر إلى النشوان عند	فانظر إلى النشوان عند
تلاـــهي	شـــرابه
من بعد تمزيق الفؤاد	وانظر إلى تمزيق ذا

(١) رسالة في تحريم الجين الرومي وكتاب تحريم الغناء والسماع، أبو بكر الطرطوشي، تحقيق وتقديم ووضع فهراس عبدالمجيد تركي، ط ١، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٧م ص (٢٣٤).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية، علي بن أبي العز، تحقيق د. عبدالله التركي، وشعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ص (٧٧١).

(٣) تلبيس إبليس ص (٢٤٧).

أثوابه —————
 فاحكم بأي الخمرتين —————
 أحق بالـ —————
 (١)

وتوعّد ابن كثير رحمه الله هؤلاء الذين لا يتأثرون بالقرآن ويتأثرون بالأبيات والأشعار الغرامية بالخزي والفضيحة يوم القيامة قائلاً: « فمن يهيج عند سماع الأبيات، ولا يتأثر بسماع الآيات، ينوح، ويبكي عند سماع الصوت الرغيد، ولا يبالي عند سماع الوعد والوعيد، فمن كانت هذه صفته، فليس على الطريقة الصحيحة، بل هو من الذين إن لم يتوبوا ويقبلوا: نودي عليهم يوم القيامة بالخزي والفضيحة... » (٢).

- الرد على بدعة الذكر عند الصوفية:

عدّ الشاطبي الغناء والرقص أثناء الذكر بدعة محدثة، وذلك في جواب لسؤال ورده عن سماع الصوفية وهذا نصه: « ... وقع السؤال عن قوم يتسمّون بالفقراء، يزعمون أنهم سلكوا طريقة الصوفية، فيجتمعون في بعض الليالي، ويأخذون في الذكر الجهوري على صوت واحد، ثم في الغناء والرقص، إلى آخر الليل...، هل هذا العمل صحيح في الشرع أم لا؟ »

فأجاب الشاطبي رحمه الله: « بأن ذلك كله من البدع المحدثات، المخالفة طريقة رسول الله ﷺ وطريقة

أصحابه والتابعين لهم بإحسان » (٣).

وقد بين ابن تيمية رحمه الله خطأ من دعا الله باسمه المفرد مظهرًا أو مضمراً؛ لأنه كما يقول: « ليس بكلام تام ولا جملة مفيدة ولا يتعلق به إيمان ولا كفر ولا أمر ولا نهى، ولم يذكر ذلك أحد من سلف الأمة ولا شرع ذلك رسول الله ولا يعطي القلب بنفسه معرفة مفيدة ولا حالاً نافعاً، وإنما يعطيه تصوراً مطلقاً لا يحكم عليه بنفي ولا إثبات فإن لم يقترن به من معرفة القلب وحاله ما يفيد بنفسه وإلا لم يكن فيه فائدة، والشرعية إنما تشرع من الأذكار ما يفيد بنفسه لا ما تكون الفائدة حاصلة بغيره » (٤).

ويقول رحمه الله أيضاً: « وهذا النوع من الذكر أبعد من السنّة وأدخل في البدعة وأقرب إلى إضلال الشيطان، فإن من قال يا هوهو أو هوهو ونحو ذلك لم يكن الضمير عائداً إلا إلى ما تصوره قلبه، والقلب قد يهتدي وقد يضل » (٥).

قلت: والمشروع من ذكر الله هو ذكره بجملة تامة وبكلام يفيد معنى وينتفع به المؤمن فيزداد خشية ومحبة ومعرفة بربه، أما الاقتصار على الاسم المفرد - كما هو حال الصوفية - فلا أصل له في الدين. وجماع الدين أصلان أن لا نعبد إلا الله ولا نعبد إلا بما شرع كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ

(٣) الاعتصام، لأبي إسحاق الشاطبي، تحقيق عبدالرزاق المهدي ط ١ (بيروت-دار الكتاب العربي- ١٤١٧ هـ) (٢٠١/١-٢٠٢).

(٤) مجموع الفتاوى (٢٢٦/١٠-٢٢٧).

(٥) مجموع الفتاوى ص (٢٢٧).

(١) مدارج السالكين، لابن القيم، تحقيق محمد حامد الفقي، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٣٩٢ هـ (٤٨٧/١-٤٨٨).

(٢) جواب لابن كثير عن مسألة السماع، بذيل كتاب الكلام على مسألة السماع ص (٧٤٦).

عند تفسيره لقوله تعالى في سورة الأنفال: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِدَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال: ٢].

قال رحمه الله: « وصف الله تعالى المؤمنين في هذه الآية بالخوف والوجل عند ذكره، وذلك لقوة إيمانهم، ومراعاتهم لربهم وكأنهم بين يديه ».

وبعد ذكر بعض الآيات في هذا الشأن قال: « فهذه حالة العارفين بالله، الخائفين من سطوته وعقوبته، لا كما يفعل جهال العوام والمبتدعة الطغام، من الزعيق والزئير -أي الصياح- ومن النهاق الذي يشبه نهاق الحمير فيقال لمن تعاطى ذلك، وزعم أن ذلك وجد وخشوع: لم تبلغ أن تساوي حال الرسول ولا حال أصحابه في المعرفة بالله، والخوف منه، والتعظيم بجلاله، ومع ذلك فكانت حالهم عند المواعظ: الفهم عن الله، والبكاء خوفاً من الله ولذلك وصف الله أحوال أهل المعرفة عند سماع ذكره وتلاوة كتابه فقال: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتَبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [المائدة: ٨٣].

فهذا وصف حالهم، وحكاية مقالهم. ومن لم يكن كذلك فليس على هديهم، ولا على طريقته. فمن كان مستتاً فليستن بهم. ومن تعاطى أحوال المجانين والجنون فهو

عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكُ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ١١٠].

وكان لابن القيم رحمه الله موقف المنكر للذكر الصوفي وهذا هو موقفه الواضح المبين: يرى أنه « فاسد مبني على فاسد، فإن الذكر بالاسم المفرد غير مشروع أصلاً، ولا مفيد شيئاً، ولا هو كلام أصلاً، ولا يدل على مدح ولا تعظيم، ولا يتعلق به إيمان ولا ثواب، ولا يدخل به الذاكر في عقيدة الإسلام جملة فلو قال الكافر: الله... الله... من أول عمره إلى آخره لم يصير بذلك مسلماً فضلاً عن أن يكون من حملة الذكر أو يكون أفضل الأذكار، وبالعالم بعضهم في ذلك حتى قال: الذكر بالاسم المضممر أفضل من الذكر بالاسم الظاهر، فالذكر بقوله: هو... هو... أفضل من الذكر بقولهم: الله... الله.

وكل هذا من أنواع الهوس والخيالات الباطلة المفضية بأهلها إلى أنواع الضلالات، فهذا فساد هذا البناء الهائل، وأما فساد المبني عليه، فإنهم ظنوا أن قوله تعالى: ﴿ قُلِ اللَّهُ ﴾ [الأنعام: ٩١]، مثل هذا الاسم فقل: الله الله، وهذا من عدم فهم القوم لكتاب الله، فإن اسم الله هنا جواب لقوله: ﴿ قُلِ مَنْ أُنْزِلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ يَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يَبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ﴾ [الأنعام: ٩١] إلى أن قال: ﴿ قُلِ اللَّهُ ﴾ [الأنعام: ٩١] أي: قل الله أنزله ^(١).

وقد أنكر المفسر القرطبي الذكر عند الصوفية وذلك

(١) طريق الهجرتين، لابن القيم ط ١ (بيروت: دار الكتب العلمية - ١٩٨٢م) ص (٣٢٨-٣٢٩).

من أخسهم حالاً، والجنون فنون»^(١).

وفي كتابه الإبانة الصغرى: عدّ ابن بطّة، (ت ٣٨٧هـ) استعمال القينات واستعمال الغناء والصراخ ولطم الخدود وتشقيق الثياب عند استماع الذكر والقرآن مما أحدثه الناس وابتدعوه.

ونقل عن ابن المبارك، (ت ١٨١هـ) قوله: « هؤلاء الذين يصعقون عند استماع الذكر تقعدهم على الجدران العالية وتقرأ عليهم وتتظر هل يتردون؟ وصنف من الناس يظهرون التقشف، اتخذوا الاستماع إلى القصائد والاجتماع على ذلك سنة لهم، ليلها بذلك أنفسهم ويضطربوا قلوبهم، ومنهم من يرقص ويصفق بيديه ويخرق ثيابه ويقولون في قلوبهم: قال الله -ﷻ- وقالت الحوراء، وقال الولي شيئاً لم يقله الله ولا جاء في أثر ولا سنة، ولم تقله حوراء ولا قاله ولي، وهذا مبتدع كذب وزور»^(٢).

ولا يزال في عصرنا، ينتشر ما يسمى « مجالس الذكر »، وهي عبارة عن حلقات جماعية يختلط فيها الرجال والنساء، ويتخللها الأدعية الجهرية والبدعية، مصحوبة بالنغمات الموسيقية، يقول الدكتور صابر طعيمة في كتابه: « الصوفية معتقداً ومسلماً »: أصبح الرقص الصوفي الحديث عند معظم الطرق الصوفية في مناسبات الاحتفال بمولد كبارهم أن يجتمع الأتباع لسماع النوتة الموسيقية التي تكون قوتها أحياناً أكثر

من مائتي عازف من الرجال والنساء، وكبار الأتباع يجلسون في هذه المناسبات يتناولون ألواناً من شرب الدخان، وكبار أئمة القوم وأتباعهم يقومون بمدارسة بعض الخرافات التي تنسب لمقبريهم، وقد انتهى إلى علمنا من المطالعات أن الأداء الموسيقي لبعض الطرق الصوفية الحديثة مستمد مما يسمى « كورال صلوات الأحاد المسيحية »^(٣).

وقال عبدالفتاح أبوغدة في تعليقه على « رسالة المستر شدين»: « بقي شيء آخر أرى التنبيه عليه، وهو شائع اليوم في كثير من حلق الذكر في زماننا! وذلك أنهم يقولون: الله الله الله...، ويكررونها هكذا، فتكون كلمة الجلالة في أول ذكرهم مفهومة، ثم يسرعون بالنطق بها سرعة بالغة متلاحقة، ثم يسرعون بها جداً، حتى تتداخل اللفظة في اللفظة مع اقتطاع بعض حروفها، فتصير كلمة الجلالة المعظمة صوتاً مبهمًا، يتردد في الفم بسرعة قصوى، لا يفهم منه شيء فهو ذكر محذور، فإننا لله وإننا إليه راجعون، من هؤلاء الناكرين لله!! »^(٤).

أيضاً هذه اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في المملكة العربية السعودية، تنكر على الصوفية ما يفعلون أثناء الذكر من رقص وغناء وتمايل باعتباره حلال وذلك بالفتوى رقم (٣٥٤٤) والتي جاء فيها:

سؤال: هل ما يفعله الصوفية من رقص وغناء

(٣) الصوفية معتقداً ومسلماً، د/ صابر طعيمة ط ٢ (الرياض - عالم الكتب- ١٤٠٥هـ) ص (٣١٣).

(٤) رسالة المستر شدين للحارث المحاسبي، تحقيق: عبدالفتاح أبوغدة، تقديم: حسنين مخلوف ص (١١٦).

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٦٥/٧).

(٢) الإبانة الصغرى، عبيد الله بن بطّة، ط ١ (الرياض - در أطلس - ١٤٢٢هـ) ص (٢١٣، ٢١٧، ٢١٨).

باحث مستشرق فرنسي يدعى « كيمون » للقول في كتابه « باتولوجيا الإسلام »: ما ملخصه:

« إن الديانة المحمدية: -يقصد الإسلام- جزام تقشى بين الناس وأخذ يفتك فيهم فتكاً ذريعاً، بل هو مرض وشلل عام، وجنون ذهولي يبعث الإنسان على الخمول والكسل، وما قبر محمد إلا عمود كهربائي يبعث على الجنون في رؤوس المسلمين، ويلجئهم إلى الإتيان بمظاهر الصرع العامة والذهول العقلي وتكرار لفظه: «الله» إلى ما لا نهاية... »^(٣).

ومن الشواهد على أن هذا النكر الصوفي، انعكس سلماً على الإسلام وأهله -ما قاله الأستاذ محمد شقفة في كتابه: «التصوف بين الحق والخلق» ما نصه:

« وقد حدثني من أثق به من رجالات حماة - بسوريا- أن الجنرال الفرنسي « سراي » عندما زار حماة أراد التعرف على معالمها فرافقه أحد الوجهاء المثقفين، وعندما وصلا إلى إحدى الزوايا - الصوفية- شاهدها فيها إحدى حلقات الذكر -عند الصوفية- والذاكرون وقوفاً يتمايلون ويرقصون فتعجب الجنرال وسأل المرافق. هل هذا من الدين الإسلامي؟، فأجابه المرافق النبيه بسرعة: لا أبداً إنه ملهي « تياترو » تحت ستار الإسلام البريء من هذه الخرافات والمساخر »^(٤).

وتمايل ذات اليمين والشمال ذكر كما يسمونه حلال أم حرام؟

الجواب: خير الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وقد أكمل الله الدين لعباده قولاً وعملاً واعتقاداً قال تعالى: ﴿أَيُّوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُم دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

والرسول ﷺ بين هذا الدين بقوله وفعله وتقريره، وصاحبه -ﷺ- نقلوا عنه ﷺ ما صدر منه من الأقوال والأفعال والإقرار، فالدين كامل من جهة قواعده ومن جهة بيانه ونقله. والذكر نوع من العبادات والعبادات مبنية على التوقيف. ومن خصص شيئاً من العبادات وحدد له وقتاً معيناً أو كيفية خاصة لأدائه فهو مطالب بالدليل، وما ذكر في السؤال لا نعلم له أصلاً شرعاً يعتمد عليه. وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد »^(١) فما ذكر في السؤال من النوع المردود »^(٢).

وقد أساء الصوفية إلى الإسلام إساءةً بالغة؛ مما سبب نفور غير الإسلاميين منه، لما شاهدوا من سلوكهم المنحرف، وذكرهم بتكرار لفظ: الله، الله فطنوه هو الإسلام ونفروا منه مما حدا بأحدهم وهو

(١) صحيح البخاري، كتاب الصلح، باب: إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود (١٦٧/٣).

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب: أحمد الدويش، ط ١ (مكتبة المعارف - الرياض - ١٤١٢هـ) (١٨٧/٢ - ١٨٨).

(٣) التصوف بين الحق والخلق، محمد فهد شقفة، ط ٣ (حولي - الدار السلفية - ١٤٠٢هـ) ص (١٦٢-١٦٣).

(٤) التصوف بين الحق والخلق ص (١٥٩).

- الرد على دعوى جواز النظر إلى الأُمرد:

هذا السلوك المصادم للفطرة، اشتهر عند الصوفية، وهو من متولدات وإفرازات السماع، وتواترت أخباره عند مصنفهم كما سبق أن بينا، وقد اتخذ منه المتصوفة، وسيلة لممارسة السماع وما يتولد منه من رقص، وصعق، ونط، ولطك، وشق ثياب وخلاف ذلك من إفرازات لم ينزل بها الله من سلطان ولم يأت عليها دليل ثابت.

وقد واجهت تلك البدعة نفورًا واشمئزازًا من العقول السليمة فتصدى لها العلماء بالنقد والرد، وتشنيع من قال بها ودعا إليها.

قال سعيد بن المسيب رحمه الله: إذا رأيتم الرجل يلح النظر إلى غلام أُمرد فاتهموه^(١).

وحذر البربهاري (ت ٣٢٩هـ) من مجالسة هؤلاء المبتدعة الذي يدعون إلى كل هوى وفتنة مع النساء والمردان، يفهم ذلك من كلامه رحمه الله الذي قال فيه: « واحذر أن تجلس مع من يدعو إلى الشوق والمحبة ومن يخلو مع النساء، وطريق المذهب، فإن هؤلاء كلهم على الضلالة »^(٢).

وأنكر الطرطوشي رحمه الله دعوى الصوفية بجواز النظر إلى الأُمرد بحجة الاستدلال على الله، وعقد فصلاً عن ذلك في كتابه: تحريم الغناء والسماع ومما جاء فيه: « أما قولهم: « أنهم يستدلون بالصنعة على الصانع » فنهاية في متابعة الهوى،

ومخادعة العقل ومخالفة العلم. ثم ساق بعض الأدلة من القرآن التي ترفض هذه الدعوى من أساسها »^(٣). ومما ذكره ابن الجوزي في رده وإنكاره على الصوفية في صحبتهم للأحداث واستمتاعهم بالنظر إلى المردان قوله: «... قوم صحبوا المردان ومنعوا أنفسهم من الفواحش يعتقدون ذلك مجاهدة وما يعلمون أن نفس صحبتهم والنظر إليهم بشهوة معصية، وهذه من خلال الصوفية المذمومات »^(٤).

وقال أن صحبة الأحداث أقوى حبائل إبليس التي يصيد بها الصوفية^(٥).

ولما كانت دعاوى الصوفية في نظرهم للأُمرد هي للاعتبار وزيادة الإيمان وأنه لا خوف عليهم من رؤيتهم، ردّ عليهم ابن عقيل مزاعمهم قائلاً: « قول من قال لا أخاف من رؤية الصور المستحسنة، ليس بشيء فإن الشريعة جاءت عامة الخطاب لا تميز الأشخاص.

وآيات القرآن تتكرر هذه الدعاوى قال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا أَرْوَاحَهُمْ﴾ [النور: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْآيِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۖ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۖ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۖ﴾ [الغاشية: ١٧-١٩].

فلم يحل النظر إلا على صور لا ميل للنفس إليها

(٣) انظر: كتاب تحريم الغناء والسماع للطرطوشي ص (٢٦١).

(٤) تلبس إبليس ص (٢٦٩).

(٥) انظر: المرجع نفسه ص (٢٧٦).

(١) انظر: تلبس إبليس ص (٢٦٦).

(٢) شرح السنة للبرهاري ص (١٠٨).

يكرهون أن يحد الرجل النظر إلى الغلام الأمر الجميل.

وقال مسلم بن قتيبة: سمعت سفيان الثوري يقول: « ولو أن الرجل عبث بغلام أمرد بين إصبعين من أصابع رجله يريد الشهوة، لكان لوطيًا ».

وقال الحسن بن ذكوان: « لا تجالسوا أولاد الأغنياء، فإن لهم صورًا كصور النساء، وهم أشد فتنة من العذاري ».

وقال بعض التابعين: « اللوطية على ثلاثة أصناف: صنف ينظرون، وصنف يضافحون، وصنف يفعلون ذلك الفعل ».

وبعد أن ساق هذه الأدلة قال: وإنما تفعل هذه الطائفة ما ذكرناه من سماع الغناء، والنظر إلى الوجوه الملاح بعد تناول الألوان الطيبة، والمآكل الشهية، فإذا شفت نفوسهم طالبتهم بما تبتغيه من السماع والرقص والاستمتاع بالنظر في وجوه المرد دون الشهوات ^(٢).

وقد جرح الحافظ ابن ناصر (ت ٥٥٠هـ) عدالة محدث الصوفية محمد بن طاهر المقدسي، عندما أجاز النظر إلى المرد بقوله: أنه ممن لا يحتج به، فقد صنّف كتابًا في جواز النظر إلى المرد أورد فيه حكاية يحيى بن معين، أنه قال: رأيت جارية بمصر مليحة صلى الله عليها، فقيل له: تصلي عليها؟! قال: صلى الله عليها وعلى كل مليح، ثم قال: ابن

ولاحظ فيها بل عبرة لا يمازجها شهوة. ولا تعتبر بها لذة، فأما صور الشهوات فإنها تعبر عن العبرة بالشهوة، وكل صورة ليست بعبرة لا ينبغي أن ينظر إليها، لأنها قد تكون سببًا للفتنة، وكذلك ما بعث الله تعالى امرأة بالرسالة ولا جعلها قاضيًا ولا إمامًا ولا مؤذنًا، كل ذلك لأنها فتنة وشهوة وربما قطعت عما قصدته الشريعة بالنظر وكل من قال أنا أجد من الصور المستحسنة عبرًا كذبناه، وكل من ميز نفسه بطبيعة تخرجه عن طباعنا بالدعوى كذبناه، وإنما هذه خدع الشيطان للمدعين ^(١).

وفي ردّه على الصوفية الذين زعموا أن النظر إلى وجه الأمر فيه زيادة الإيمان بيّن القاضي طاهر الطبري (ت ٤٥٠هـ) بطلان وزيف هذه المزاعم بقوله: « وقد بلغني أن هذه الطائفة -الصوفية- تضيف إلى السماع النظر إلى وجه الأمر وربما زينوه بالحلي، والمصاغات من الثياب، وزعموا أنهم يقصدون بهذا الازدياد من الإيمان بالنظر والاعتبار، والاستدلال بالصنعة على الصانع. وهذه النهاية في متابعة الهوى، ومخادعة العقل.

ثم ساق رحمه الله بعض الآيات التي تدعو للتفكير في خلق الله وأعقبها ببعض الأحاديث النبوية التي تحذر من هذه السلوك الشائن وأورد بعض أقوال التابعين التي تحذر من النظر إلى الأمر ومنها:

قول عقبة بن الوليد: قال بعض التابعين: « كانوا

(٢) الرد على من يحب السماع للقاضي طاهر الطبري، دار الصحابة للتراث، دراسة وتحقيق مجدي فتحي ص (٦٥-٦٨).

(١) تلبس إبليس ص (٢٦٨-٢٦٩).

تفصيلي بحالهم، فالويل للقضاة والحكام حيث يعرفون ويشاهدون ولا ينكرون ولا يغيرون مع قدرتهم عليهم، بل يخافون منهم ويلتمسون الدعاء منهم «(٣).

وقد أنكر عليهم إبراهيم الحلبي (ت ٩٥٦هـ) هذا السلوك وعده تشبهاً بالبهايم والنصارى بقوله: "واعلم أن صنيعهم هذا قد اشتمل على جملة من القبائح منها عدم المروءة والتشبه بالنساء والصبيان قال سلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام: الرقص لا يتعاطاه إلا ناقص العقل ولا يصلح إلا للنساء، ومنها التشبه بالبهايم كالقردة والذباب ومنها التشبه بالنصارى... ومنها خلط المعصية بالعبادة ومنها اعتقاد ذلك عبادة وقربة فكان من هذه الحيثية أشد من الفسق الذي يعتقده فاعله فسقاً، ولقد بلغني ممن أنكلات عليه أنه قال بعدما غبت عنه لا ينكرون على من يشرب الخمر وينكرون علينا أو كما قال، فأقول لو تأمل هذا المسكين تأمل المنصفين، لوجد هذا الفعل أشد ضرراً عليه من شرب الخمر، فإن شارب الخمر، يعتقد حرمة فعله، فربما يستغفر منه ويندم عليه ويحصل له الذلة والانكسار ويقابل من الخلق باللوم والاحتقار، بخلاف هؤلاء، فإنهم باعتقادهم أنه عبادة لا يستغفرون منه ولا يندمون؛ بل يتباهون به ويتطاولون، وينالون عند الناس المنزلة والاعتبار والتعظيم، وهذا ما يذكر عند إبليس

ناصر رحمه الله، كان ابن طاهر هذا يذهب مذهب الإباحية، يعني في النظر إلى الملاح^(١). ولا ينبغي أن يفوت على المسلم ما أمر الله به عباده المؤمنين من غض للأبصار عن كل ما هو سبب للفتنة سواء كان امرأة أو شاباً أو أمراً، يخاف من النظر عليه الوقوع في الفتنة.

فقد قال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور: ٣١].

وما أحسن كلام الشيخ عبدالرحمن دمشقية، في حق هؤلاء عندما قال فيهم: «إذا رأى رقص صوفية زماننا-الحاضر- في المساجد والدعوات بألحان ونغمات مختلطاً بهم (المُرد)^(٢) وأهل الأهواء من جهال العوام والمبتدعة الطغام لا يعرفون الطهارة والقرآن والحلال والحرام، بل لا يعرفون الإيمان والإسلام، لهم زعيق وزئير ونهاق يشبه نهاق الحمير، يبدلون كلام الله ويغيرون ذكر الله تعالى، ثم يتلفظون بألفاظ مهملة وهذيانات كريهة مثل: هاي، وهوي وهي وهيا- يقول: لا محالة هؤلاء اتخذوا دينهم لهواً ولعباً وإن لم يكن له ممارسة بالفقه. وعلم

(١) انظر: تلبيس إبليس ص (١٦٥-١٦٦)، وسير أعلام النبلاء (٣٦٤/١٩).

(٢) جمع أمرد، وهو الغلام الذي لم تظهر علامات الرجولة فيه، كظهور اللحية وخشونة الصوت.

(٣) الصاعقة المحرقة ص (٤٥).

وقال أبو حفص الحَدَّاد (ت ٢٦٠هـ): « إذا رأيت المريد يحب السماع فاعلم أن فيه بقية من البطالة »^(٥).

وعبد القادر الجيلاني (ت ٥٦١هـ) رحمه الله من كبار مشايخ الصوفية، رأى كراهية السماع وخالف رأيه ما عليه صوفية زمانه في السماع، فهو يقول: « وإن كنا لا نرى بالسماع والقول والقصب والرقص، وقد قدمنا كراهيته؛ إلا أننا قد ذكرنا ذلك على ما قد لهج أهل زماننا في أربطتهم ومجامعهم »^(٦).

والسهرودي (ت ٦٣٠هـ) وهو من أئمة الصوفية ومصنفهم في كتابه: « عوارف المعارف » يرفض هذه الظاهرة المقيتة، وما يصاحبها من سلوكيات شاذة، فهو يقول: « إن أنصف المنصف، وتكرر في اجتماع أهل الزمان وقعود المغني بدفه، والمشعب بشبابته، وتصوره في نفسه، هل وقع مثل هذا الجلوس والهيئة بحضرة النبي ﷺ، وهل استحضروا قولاً وقعدوا مجتمعين لاستماعه، لاشك بأنه ينكر ذلك من حال الرسول ﷺ وأصحابه، ولو كان في ذلك فضيلة تطلب ما أهملوها »^(٧).

وقد ردَّ في مصنفه « عوارف المعارف » حديث أنس -رضي الله عنه- في تواجد النبي ﷺ وأصحابه لما أنشد الأعرابي: قد لسعت حية الهوى كبدي -والذي استدل به الصوفية واحتجوا به على التواجد أثناء السماع- بقوله: « فهذا الحديث أوردناه مسنداً كما سمعناه

الله، قال: قصمت ظهور بني آدم بالمعاصي، فقصموا ظهوري بالاستغفار، فأحدثت لهم ذنباً لا يستغفرون منها وهي البدع »^(٨).

– نقد الصوفية لبعضهم:

رد كبار أئمة ومشايخ الصوفية ما يعرف عندهم بالسماع، وما تولد منه من رقص، وصعق، وصياح، ونط، وتمزيق ثياب.. إلخ، وأنكروا هذه السلوكيات على أهلها.

أبو علي الروذباري (ت ٣٢٢هـ) من كبار الصوفية، يقول في السماع: « ليتنا تخلصنا منه رأساً برأس »^(٩).

ويستنكر على من يستمتع للملاهي من هؤلاء السذج، ويزعم أنه سقطت عنه التكاليف الشرعية، فسماعه لها حلال، لأنه قد وصل إلى درجة لا يؤثر فيه اختلاف الأحوال، فقال عنه الروذباري: نعم قد وصل، ولكن إلى سقر^(١٠).

والجنيد (ت ٢٦٧هـ) المسمى عندهم « سيد الطائفة » يستنكر هذه الرعونات التي تصدر من بعضهم، ذلك أن رجلاً كان يصحبه في سفره، وكان الرجل إذا سمع شيئاً من الذكر يزعم، فقال الجنيد: إن فعلت ذلك مرة أخرى لم تصحبني^(١١).

(١) الرهص والوقص لمستحل الرقص، إبراهيم الحلبي، ت (٩٥٦هـ)، دراسة وتحقيق وضبط وتعليق د. صالح السدلان، ط ١، ١٤١٠هـ، ص ١٠٧-١٠٩.

(٢) كشف المحجوب للهجويري ص (٤٨٩).

(٣) انظر: حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني، بيروت، لبنان، ١٤١٦هـ، (٣٥٦/١٠)، طبقات الصوفية ص (٨٧)، الطبقات الكبرى (١٠٦/١).

(٤) انظر: الرسالة القشيرية ص (١٠٦).

(٥) الرسالة القشيرية ص (٥١٩).

(٦) الغنية لطالبي طريق الحق، عبد القادر الجيلاني (المكتبة الشعبية) (١٦٧/٢).

(٧) عوارف المعارف ص (١٧٥).

ووجدناه، وقد تكلم في صحته أصحاب الحديث، وما وجدنا شيئاً نقل عن رسول الله ﷺ يشاكل وجد أهل الزمان وسماعهم واجتماعهم وهيئتهم إلا هنا، وما أحسنه من حجة للصوفية وأهل الزمان في سماعهم وتمزيقهم الخرق وفسخها أن لو صح -والله أعلم- ويخالج سري أنه غير صحيح، ولم أجد فيه ذوق اجتماع النبي ﷺ مع أصحابه، وما كانوا يعتمدونه على ما بلغنا في هذا الحديث، ويأبى القلب قبوله، والله أعلم بذلك»^(١).

ونقل عن الجريري الصوفي (ت ٣١١ هـ) قوله: « رأيت الجنيد في المنام فقلت: « كيف حالك يا أبا القاسم؟ » فقال: « طاحت تلك الإشارات وبادت تلك العبارات وما نفعنا إلا تسبيحات كنا نقولها بالغدوات»^(٢).

وهذا أبو الحارث الفيض الأولاسي (ت ٢٩٧ هـ) يربط الرقص بإبليس وبفرحه مما حققه مع الصوفية المتعاطين له، يقول: « رأيت إبليس في المنام على بعض سطوح أولاس^(٣) على يمينه جماعة وعلى يساره جماعة وعليه ثياب نظاف، فقال لطائفة منهم: قولوا! فقالوا وغنوا فاستفزني طيبه حتى هممت أن أطرح نفسي من السطح ثم قال: ارقصوا فرقصوا بأطيب ما يكون، ثم قال لي: يا أبا الحارث ما

أصيب شيئاً أدخل به عليكم إلا هذا»^(٤). وعدّ الطوسي صاحب « اللع » وهو أحد أئمتهم الكبار - أن هذا السماع هو سماع أهل الباطل فهو يقول: « سماع الأوتار والمزامير والمعازف والكونة والطبل سماع أهل الباطل، وهو المحذور المنهي عنه بالأخبار الصحيحة المروية عن رسول الله ﷺ»^(٥).

وقال أبو محمد الجريري وهو من أكابر مشايخ الصوفية: « من استولت عليه النفس صار أسيراً في حكم الشهوات محصوراً في سجون الهوى فحرّم الله على قلبه الفوائد فلا يستلذ بكلام الحق تعالى، ولا يستحليه، وإن كثر ترده على لسانه»، وذكر عند بعض العارفين أصحاب القصائد فقال: هؤلاء الفرّارون من الله لو ناصحوا الله وصدقوا لأفادهم في سرائرهم ما يشغلهم عن كثرة التلاقي»^(٦).

وقد ردّ القشيري أحد أئمة الصوفية على غلاتهم في مسألة جواز النظر إلى الأمرد وقال قولاً عظيماً في الرد عليهم وكشف فضائحهم قائلاً: « ومن ابتلاه الله بشيء من ذلك فهو عبد أهانه الله وخذله وكشف عورته، وأبدى سواته في العاجل وله عند الله سوء المنقلب في الآجل»^(٧).

وهذا الواسطي وهو من كبار الصوفية يقول: « إذا

(٤) تلبس إبليس ص (٢٥٠).

(٥) اللع للطوسي ص (٣٤٨).

(٦) الرسالة القشيرية ص (٩٥-٩٦)، وانظر نزهة الأسماع في مسألة السماع، لابن رجب الحنبلي، تحقيق الوليد الغريان، ط١، الرياض، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٠٧ هـ، ص (١٠١).

(٧) الرسالة القشيرية ص (٥٧٧).

(١) عوارف المعارف ص (١٨٩).

(٢) الرسالة القشيرية ص (٥٦٥).

(٣) أولاس: حصن على ساحل بحر الشام من نواحي طرسوس، فيه حصن يسمى حصن الزهاد. انظر معجم البلدان (٢٨٢/١).

وقصيدته-رحمه الله- المعروفة، في ذم رقص
الصوفية، والذي قال فيها:

قالوا رقصنا كما الأحبوش قد بمسجد المصطفى قلنا بلا كذب
رقصوا من آلة الحرب بالآلات والتيلب^(٢)
الخبش ما رقصوا لكنهم لعبوا

وأنشده أبو بكر العنبري (ت ٤١٢هـ) لنفسه في
الصوفية:

تأملت اختبر المدعين بين الموالي وبين العبيد
فألقيت أكثرهم كالسراب يروقك منظره من بعيد
فناديت يا قوم من تعبدون فكل أشار بقدر الوجود
فبعض أشار إلى نفسه وأقسم ما فوقها من مزيد
وبعض إلى خرقة رقت وبعض إلى ركوة من جلود
وأخر يعبد أهواءه وما عابد للهوى بالرشيد
ومجتهد وقته ربه فإن فات بات بليل غنيد
وذو كلف باستماع السماع بين البسط وبين التشديد
يئن إذا أوضحت رنة ويزراً منها زئير الأسود
يخرق خلقانه عامداً ليعتاض منها بثوب جديد
ويرمي بهيكله في السعير لقلع الثريد وبلغ العصيد
فيا للرجال ألا تعجبون لشيطان إخواننا ذا المزيد
يخبطهم بفنون الجنون وما للمجانين غير القيود
وأقسم ما عرفوا ذا الجلال وما عرفوه بغير الجحود
ولولا الوفاء لأهل الوفاء سلفتهم بلسان حديد
فمالي يطالبني بالوصال من ليس يعلم ما في الصدود
اضن بودي ويسخو به وقد كنت أسخو به للودود
ولكن إذا لم أجد صاحباً يسر صديقي ويشجو الحسود
عطفت بودي مني إليه فغاب نحوسي وآب السعود
فما بال قومي على جهلهم بعز الفريد وأنس الوحيد

أراد الله تعالى هوان عبد ألقاه إلى هؤلاء الأنتان
والجيف^(١).

هذه بعض أقوال أئمة ومشايخ الصوفية على
أتباعهم،

فياليت صوفية هذا الزمان، يستجيبون لكلام هؤلاء
الأئمة الكبار، ويتركون هذا السماع ومتولداته من
الصعق والرقص والزقق وتمزيق الثياب وغيرها،
ويتركون الذكر المصاحب للطبل والمزمار والرقص
والمعارف، بل ومصاحبة المردان والاختلاط أحياناً
بالنساء الأجنيات، نعوذ بالله من البدع والفتن.

- لسماع ومتولداته في ميزان الشعر:

كان للشعر والشعراء، موقف المنكر لبدع الصوفية
في السماع ومتولداته، فهم الآخرون سطوراً أجمل
الشعر وأعذبه في إنكار هذه البدعة من خلال نقدهم
لما رأوه من أفعال معاصريهم من هؤلاء وقد اتفقوا أو
كادوا على أن هذه السلوكيات إنما يقوم بها صبيان
أو...، تشبهوا بالحمير والسكران، وهي خارجة عن
تعاليم الدين الإسلامي الحنيف.

ولعلنا في آخر هذا البحث نعيش مع الشعر والشعراء
من العلماء في نقدهم وإنكارهم على المتصوفة
وبدعتهم في السماع وإفرازاته

نبدأ هذه الواحة الشعرية، بقول الإمام الشافعي رحمه
الله:

ودع الذين إذا أتوك تنسكوا وإذا خلوا فهم ذئاب خفاف

(١) الرسالة القشيرية ص(٥٧٧).

(٢) انظر: الرهص والوقص لمستحل الرقص، ص ٩٠-٩١.

إذا أبصروني بكرة رحمة
لأنني بعدت عن المدعين

ونيران أحقادهم في وقود
ولو صدقوا كنت غير البعيد^(١)

وقال أبو إسحاق الشيرازي الفقيه لبعضهم:

أرى جيل التصوف شر جيل
أقال الله حين عشقتموه
فقل لهم واهون بالحلول
كلوا أكل البهائم وأرقصوا لي^(٢)

وأنشد الحسن بن علي بن يسار:

رأيت قومًا عليهم سمة الخير
اعتزلوا الناس في جوامعهم
صوفية للقضاء صابرة
فقلت إذ ذاك هؤلاء هم الناس
فلم أزل خادمًا لهم زمناً
إن أكلوا كان أكلهم سرفاً
سل شيخهم والكبير مختبراً
وأسأله عن وصف شادن غنج
علمهم بينهم إذا جلسوا
الوقت والحال والحقيقة
قد لبسوا الصوف كي يروا صلاحاً
وجانبوا الكسب والمعاش لكي
وليس من عفة ولا دعة
فقل لمن مال باختداعهم
واستغفر الله من كلامهم

بجمل الركاء مبتهلة
سألت عنهم فقل متكله
ساكنة تحت حكمه بزله
ومن دون هؤلاء رزله
حتى تبين أنهم سفله
أو لبسوا كان شهرة مثله
عن فرضه لا تخاله عقله
مدلل لا تراه قد جهله
كعلم راعي الرعاع والرزله
والبرهان والعكس عندهم مثله
وهم شرار الذباب والحفله
يستأصلوا الناس شرها أكله
لكن تعجيل راحة العطله
إليهم تب فإنهم بطله
ولا تعاود لعشرة الجهالة^(٣)

وأنشد البنا السرقسطي:

وليس يحتاج إلى السماع
والزعات منه والتمزيق
إلا أخو الضعف القصير الباع
ضعف، وهز الرأس والتصفيق

وألقى الأخضرى اللائمة على الصوفية الذين
يرقصون وينبحون ويصيحون حيث قال:

وقال بعض السادة المتبعة
ويذكرون الله بالتغير
وينبحون النبح كالكلاب
وليس فيهم من فتى مطيع
في رجز يهجر المبتدعة
ويشطون الشطح كالحمير
طريقهم ليس على الصواب
فلعن الله على الجميع

وقال أيضًا:

أبقوا من اسم الله حرف الهاء
لقد أتوا والله شيئاً إذا
فألحدوا في أعظم الأسماء
تخر منه الشامخات هذا

وذمهم آخر بقوله:

الرقص نقص والسماع
رقاعــة
والله ما رقصوا لطاعة ربهم
وكذا التواجد خفه بالرأس
بل للذي طحنوه بالأضراس

وقال آخر أيضًا بذمهم، ويخص منهم من جعل
العمائم الخضر علامة الشرف في النسب، يقول:

أقال الله صفق لي وغنى
وسم الرقص والتصفيق ذكرا

وقال الصوري:

أهل التصوف قد مضوا
صار التصوف صيحة
كذبتك نفسك ليس ذا
حتى تكون بعين من
تجري عليك صروفه
صار التصوف مخرقة
وتواجدًا ومطبقة
سنن الطريق الملحقة
منه العيون المحدقة
وهموم سرك مطرقة^(٤)

(١) انظر: تلبيس إبليس ص (٣٧٦-٣٧٧).

(٢) انظر: تلبيس إبليس ص (٣٧٧-٣٧٨).

(٣) انظر: تلبيس إبليس ص (٣٧٨).

(٤) انظر: المرجع نفسه ص (٣٧٨).

فأتى بذا الشرك المحيط
 البالي
 الأثواب، والأديان والأحوال

شغلاً به عن سائر الأشغال
عنها، وسار القوم ذات
شمال
صُمّاً، وعمياناً ذوي إهمال
فأطالها، عدّوه في الأتقال
عشرٌ، فخفف، أنت ذو

إِمْـلَالٌ
ضَحْكٌ بِلَا أَدَبٍ، وَلَا إِجْمَالٌ
خَشَعَتْ لَهُ الْأَصْوَاتُ
بِـالْإِجْلَالِ
الشيخ من مترجم قَوْلِ

طرب، واشتاق لنيل وصال
حوال، لا أهلاً بذى الأحوال
ماذا داهمهم من قبيح فعال
سكر المدام، وذا بلا إشكال
نالت من الخسران كل منال
كتلاعب الصبيان في
الأوحــــــــــــــــال
والله لن يرضوا بذى الأفعال

سر وجهه عندك جدال
هذا السماع، فذاك دين
محال
فسلوا الشرائع تكتفوا بسؤال
من الشيطان للأندال
وينال فيه حيلة المحتال
بالحق، دين الرسل، لا
بضللال
من أفواههم بمقال

وما اختاره عن طاعة الله مذهباً
على تاتياً حياً ويبعث أشييا
إلى الجنة الحمراء، يُدعى مقرباً
أضاع، وعند الوزن ما خف أو ربا
إذا حصلت أعماله كلها هباً
فقال لداعي الغي: أهلاً ومرحباً
هوأي إلى صوت المعازف قد
صـــبا
وصوت مغنٍ، صوته يقنع الظبا
إلى أن تراها حوله تشبه الدِّبا
ووصل حبيب كان بالهجر عذبا
لكان توالى اللهو عندك

وأعرض عن داعي الهدى، قائلاً له:
يراع، ودُف بالصنوج، وشاهد
إذا ما تغني فالظُّباء تجيبه
فما شئت من صيدٍ بغير تطارد
فيا أمري بالرشد، لو كنت حاضرًا

هذا السماع الشيطاني المضادُّ للسماع الرحماني، له في الشرع بضعة عشر اسمًا: اللهو، واللغو، والباطل، والزور، والمكاء، والتصدية، ورقية الزنا، وقرآن الشيطان، ومُنبت النفاق في القلب، والصوت الأحق، والصوت الفاجر، وصوت الشيطان، ومزموِر الشيطان، والسُّمُود.

أَسْمَاءُ دَلَّتْ عَلَى أَوْصَافِهِ

تَبَّالَّذِي الْأَسْمَاءِ وَالْأَوْصَافِ

فنذكر مخازي هذه الأسماء، ووقوعها عليه في كلام الله ﷻ وكلام رسوله، والصحابة، ليعلم أصحابه وأهله بما به ظفروا، وأيّ تجارة رابحة خسروا:

وقد قيل -عن هذا السماع- في إغاثة اللهفان:

فسل ذا خبرةٍ يُنبِّيك عنه
وحاذرٍ إذ شُغِفَتْ به سِهَامًا
إذا ما خالطت قلبًا كئيِّبًا
ويُصبح بعد أن قد كان حرًّا
ويُعْطَى من به يُغْنِي غناءً
ولتَعْلَمَ كم خبايا في الزوايا
مُرِيْشَةً بأهْدَابِ المنايا
يقلب بين أطباق الرزايا
وعفیف الفرج عبدًا للصبايا
وذلك منه من شر العطايا

وقال ابن القيم رحمه الله في إغاثة اللفهان، وهو يصف من اصطاده الشيطان في هذا السماع البدعي: « وانقل من الوقار والسكينة إلى كثرة الكلام والكذب، والزهوة والفَرْقعة بالأصابع، فيميل برأسه، ويهْزُّ منكبيه، ويضرب الأرض برجليه، ويدقُّ على أَمِّ رأسه بيديه، ويثبُّ وثبات الدَّباب، ويدور دوران الحمار حول الدُّولاب، ويُصَفِّقُ بيده تصفيق النسوان، ويَحُور من الوَجْد كخوران الثيران، وتارة يتأوه تأوّه الحزين، وتارة يَرَعَق رَعَقَات المجانين، ولقد صدق الخبيرُ به من أهله حيث يقول:

ونظم شرف الدين المقرئ اليميني (ت ٨٣٧هـ) في ذم الرقص عند الصوفية قائلاً:

قالوا: رقصنا كما الأخبوش قد بمسجد المصطفى، قلنا: بلا
رقصوا رقصوا لكنهم لعبوا من آلة الحرب بالآلات والتلَب
وذلك اللعب مندوبٌ تعلّمه في الشرع للحرب تدريباً لكل
غبي (٣) (*)

وقد هجاهم ظهير الدين قاضي السّلامية (ت ٦١٠هـ) الذي هجا مكي شيخ زاوية الفقراء بالبوازيج، البلدة القريبة من السّلامية، بقوله:

ألا قل لمكي قول النصوح فحق النصيحة أن تتبع
متى سمع الناس في دينهم بأن الغناء سنة تتبع
وأن يأكل المرء أكل البعير ويرقص في الجمع حتى
يقع
ولو كان طاوي الحشاء جائعاً لما دار من طرب
واستمع

وقالوا سكرنا بحب الإله وما أسكر القوم إلا القيصع
كذلك الحمير إذا أخصبت يُنقرها ربيها والشعب (٤)

(٣) انظر: الرهص والوقص لمستحل الرقص، إبراهيم الحلبي ص (٤٢).
(*) وفي عصرنا هذا ظهر ما يُعرف بـ «الأنشيد الإسلامية» سلبت عقول شباب الأمة نساءً ورجالاً وخاصة فئة الشباب منهم، لم تُعرف من ذي قبل عند سلف الأمة، وهي وإن خلت من الآلات الموسيقية؛ إلا أن فيها من الفتنة ما الله به عليم، من نعومة ورقة في الصوت وميوعة في الأداء، تصاحبها في ذلك المؤثرات الصوتية الحديثة الفاتنة التي تزيد من إثارة الغرائز التي قد تجر صاحبها إلى ارتكاب ما حرم الله. وهي لا تعدو شبيهة بما يقوم به المنشد عند الصوفية من تأوهات، ولعل في أداء الشعر العربي الموزون المنضبط الخالي من هذه المؤثرات المهيجة غنية عن ذلك كله. والله أعلم.

(٤) انظر: الموفي بمعرفة التصوف والصوفي، لأبي الفضل جعفر الأدفوي المصري، حققه وقدم له وعلق عليه د. محمد عيسى صالحية، ص ١٣-١٤.

على طيب السماع إلى
الصباح؟
فأسكرت النفوس بغير راح
سرورًا، والسرور هناك صاحي
أجاب اللهو حيّ على السماع
أرقناها لألحاظ الملاح

ونظم السفناقي صاحب النهاية في رسالته في ذم المتصوفة قائلاً:

أيا جيل التصوف شرّ جيل
أقال الله في القرآن فيكم
أيرقص من له عقل ودين
نقضتم إذ رقصتم قد خرجتم
فما من أحد صوفي إلا
ووجد لا يحوز كتاب
وإن سئلوا بضرب الدف له
وإننا قد أمرنا أتركوهم
لقد جئتم بأمر مستحيل
كلوا مثل البهائم وارقصوا لي؟!
كدبٍ بالدفوف وبالطبول
لدى أهل الشهادة عن عدول
لذي بدع وذو الأهواء قال
وسنة فلغو ذو افتعال
أو أذن عنه بالضرب المقول
على ما هم من أفعال
السفول (١)

ونظم إبراهيم الحلبي (ت سنة ٩٥٦هـ) في ذم الصوفية قائلاً:

الذكر ربحانة القلوب
وكيف أدنوا إلى حبيبي
لو كان ذا الرقص فرض ربي
رقصت طوعاً على دماغي
لكنه بدعة وإثم
والرقص من أقبح العيوب
بكخ وكخ وكخ كبوب
أو سنة المصطفى الحبيب
فضلاً عن الرجل والقضيب
لم يرض للعاقل اللبيب (٢)

(١) انظر: الصائقة المحرقة ص (٤١-٤٣).

(٢) انظر: الصائقة المحرقة ص (٤٣).

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، أما بعد:

أرجو الله أن أكون قد وفقت في هذا البحث؛ لتناول تعد من أهم قضايا السلوك عند الصوفية « السماع » وقد عرضت شبهتهم وما أفرزته من آثار، ظهرت عليهم، وذلك من خلال ممارساتهم وأقوال مشايخهم ومصنفاتهم.

آثار، ومتولدات هذا السلوك، من (رقص وصعق والزق ولطم وتمزيق للثياب) تجسدت في غالبها، عندما يمارسون عبادة الذكر، بمعتقدهم البدعي الظاهر، والملازم للسماع عندهم، بل هو أحد بواعثه، ثم عرفنا كيف أقدموا على سلوك آخر يصادم الفطرة؛ هو اعتقادهم بجواز النظر إلى الأمر والنسوة، بحجة الاعتبار وزيادة الإيمان، أثناء ممارسة السماع ومتولداته.

وخلاصة اعتقادهم في السماع، أنه دين وقربة وطاعة لله.

وبعد بيان شبهات الصوفية حول السماع، وبواعثه، ومتولداته من خلال أقوال أئمتهم ومشايخهم المثبتة بمؤلفات مصنفاتهم، وقفنا على رأي علماء الأمة إزاءها، وهم الذين اعتمدوا على منهج الشرع في الرد على المخالف؛ وقد عدّوا هذه السلوكيات؛ بدعاً، ومحدثات، لا يجوز تجاهلها، لخطورتها على العقيدة.

فتواترت الردود، والإنكارات على هذه البدع، في كل

مصر وعصر، وهي تؤكد وحدة منهج أهل السنة والجماعة في الرد على أهل البدع والأهواء، مهما تباعدت بهم العصور والأمصار.

وكان للشعراء في تلك الأزمان، موقف، ورأي، اتصف بالنقد والانكار على هذه السلوكيات المحدثّة.

فهرس المصادر والمراجع

- ١- الإبانة الصغرى، عبيدالله بن بطة، ط١ (الرياض - در أطلس - ١٤٢٢هـ).
- ٢- إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي، بيروت، دار العلم.
- ٣- الآداب الشرعية، لأبي عبدالله محمد ابن مفلح، تحقيق وضبط وتخريج أحاديث وتقديم شعيب الأرنؤوط وعمر الغنام، ط٢، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٧هـ.
- ٤- آداب المريدين للسهروردي، تحقيق فهد شلتوت، القاهرة، دار الوطن العربي.
- ٥- آراء الأئمة الأربعة أبوحنيفة ومالك والشافعي وأحمد في الغناء
- ٦- الاستقامة لابن تيمية، تحقيق د. رشاد سالم، ط٢، القاهرة، مكتبة السنة، ١٤٠٩هـ.
- ٧- الاعتصام لأبي إسحاق إبراهيم الشاطبي، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، ط١ (بيروت: دار الكتاب العربي - ١٤١٧هـ).
- ٨- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، لابن القيم، تحقيق وتصحيح وتعليق محمد الفقي، بيروت، دار المعرفة.

- ٩- الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية، عبد الوهاب الشعراني، تحقيق وتقديم طه عبد الباقي سرور، ومحمد عيد الشافي، بيروت، مكتبة المعارف.
- ١٠- ترتيب المدارك وتقريب المسالك، للقاضي عياض، تحقيق عبدالقادر الصحراري، ط٢، المغرب، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، ١٤٠٣هـ.
- ١١- التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، زكي مبارك ط٢ (مصر: دار الكتاب العربي - ١٣٧٣هـ).
- ١٢- التصوف بين الحق والخلق، محمد فهد شقفة، ط٣ (حولي - الدار السلفية - ١٤٠٢هـ).
- ١٣- التعرف لمذهب أهل التصوف، أبي بكر محمد الكلاباذي، ط٣، المكتبة الأزهرية للتراث، ١٤١٢هـ.
- ١٤- تفسير البغوي، تخرّيج وتحقيق محمد النمر وعثمان ضميرية وسليمان الحرش، ط٢، الرياض، دار طيبة.
- ١٥- تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ط٩، لبنان، بيروت، دار المعرفة، ١٣٩٣هـ.
- ١٦- الجامع لأحكام القرآن، محمد القرطبي، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
- ١٧- جواب لابن كثير عن مسألة السماع، بذيّل كتاب الكلام على مسألة السماع.
- ١٨- جواهر المعاني على برادة (دار الجيل - بيروت).
- ١٩- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد الأصبهاني، بيروت، دار الفكر، ١٤١٦هـ.
- ٢٠- ذم ما عليه مدعوا التصوف لموفق الدين عبدالله بن قدامه المقدسي، تحقيق زهير الشاويش، ط٣ (بيروت: المكتبة الإسلامية - ١٤٠٤هـ).
- ٢١- الذيل طبقات الحنابلة، لابن أبي يعلى، خرج أحاديثه ووضع حواشيه، أبو حازم أسامة بن حسن وأبو الزهراء حازم علي بهجت، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ.
- ٢٢- الرد على من يحب السماع/ القاضي طاهر الطبري، دراسة وتحقيق: مجدي السيد ط١ (طنطا - دار الصحابة للتراث - ١٤١٠هـ).
- ٢٣- الرسالة القشيرية في علم التصوف، عبدالكريم القشيري، تحقيق ودراسة هاني الحاج، المكتبة التوفيقية.
- ٢٤- رسالة المسترشدين للحارث المحاسبي، تحقيق: عبدالفتاح أبوغدة، تقديم: حسنين مخلوف.
- ٢٥- رسالة في تحريم الجبن الرومي وكتاب تحريم الغناء والسماع، أبو بكر الطرطوشي، تحقيق وتقديم ووضع فهرس عبدالمجيد تركي، ط١، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٧م.
- ٢٦- الرهص والوقص لمستحل الرقص، إبراهيم الحلبي صححه وعلق عليه حسن السويدان، وقدّم له عبدالقادر الأرناؤوط ط١ (دمشق - دار البشائر، ١٤٢٣هـ).
- ٢٧- الرهص والوقص لمستحل الرقص، إبراهيم الحلبي، ت (٩٥٦هـ)، دراسة وتحقيق وضبط وتعليق د. صالح السدّان، ط١، ١٤١٠هـ.

- ٢٨- سنن الترمذي، ضبط ومراجعة أصول وتصحيح عبدالرحمن عثمان، نشر محمد الكتبي.
- ٢٩- سير أعلام النبلاء، محمد الذهبي، ط٩، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ.
- ٣٠- شرح السنة لأبي محمد الحسن البربهاري، تحقيق: خالد الروادي، ط٢، (الرياض - دار السلف - ١٤١٨هـ).
- ٣١- شرح العقيدة الطحاوية، علي بن أبي العز، تحقيق د. عبدالله التركي، وشعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة.
- ٣٢- الصاعقة المحرقة على المتصوفة الرقصة المتزندقة، تأليف محمد بن صفى الدين الحنفي، تحقيق عبدالرحمن دمشقية، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤١٠هـ.
- ٣٣- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، استانبول، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع.
- ٣٤- صفة أهل التصوف للمقدسي نقلاً عن كشف القناع عن حكم الوجد والسماع لأبي العباس أحمد القرطبي، تقديم وتحقيق د. عبدالله الطريقي، ط١١٤١١هـ.
- ٣٥- الصوفية معتقداً ومسلماً، د/ صابر طعيمة ط٢ (الرياض - عالم الكتب-١٤٠٥هـ).
- ٣٦- الطبقات الكبرى، عبدالوهاب الشعراني، ط١، بيروت، دار الجيل، ١٤٠٨هـ.
- ٣٧- طريق الهجرتين، لابن القيم ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية - ١٩٨٢م).
- ٣٨- ظهر الإسلام/ أحمد أمين، ط٣، بيروت، الكتاب العربي.
- ٣٩- عوارف المعارف، عمر السهروردي، القاهرة، مكتبة القاهرة، ١٣٩٣هـ.
- ٤٠- الغنية لطالبي طريق الحق، عبدالقادر الجيلاني (المكتبة الشعبية).
- ٤١- فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب: أحمد الدويش، ط١ (مكتبة المعارف- الرياض-١٤١٢هـ).
- ٤٢- فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، ط١، القاهرة، دار الرياض للتراث، ١٤٠٧هـ.
- ٤٣- الفتوحات المكية لابن عربي، القاهرة، دار الكتب العربية الكبرى، ١٣٢٩هـ.
- ٤٤- قواعد الأحكام في مصالح الأنعام، للعز بن عبدالسلام، تحقيق طه عبدالرؤوف سعد (دار الشرق - مصر ١٣٨٨هـ).
- ٤٥- كتاب الشريعة لأبي بكر محمد الآجري، تحقيق محمد إسماعيل ط١ (بدون: دار الكتب العلمية - ١٤١٦هـ).
- ٤٦- كشف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع، أحمد الهيثمي، تحقيق محمد عبدالقادر عطا، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٦هـ.
- ٤٧- كشف القناع عن حكم الوجد والسماع لأبي العباس القرطبي، تقديم وتحقيق د.عبدالله الطريقي، ط١، ١٤١١هـ.

- ٤٨- كشف المحبوب، علي الهجويري، دراسة وتعليق د. إسعاد عبدالهادي قنديل، مراجعة د. أمين بدوي، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ١٩٨٠م.
- ٤٩- كف الرعاع عن محرمات الله والسماع لأبي العباس أحمد بن حجر الهيتمي، تحقيق محمد عطا، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٦هـ.
- ٥٠- الكلام على مسألة السماع لابن القيم، تحقيق ودراسة: راشد الحمد (دار العاصمة-الرياض-الطبعة الأولى-١٤٠٩هـ).
- ٥١- الكلام على مسألة السماع، لابن القيم، تحقيق محمد عزيز شمس، راجعه محمد أجمل الإصلاحي، مجمع الفقه الإسلامي، جدة، إشراف الشيخ بكر أبو زيد، ط١، ١٤٣٢هـ.
- ٥٢- لسان العرب لابن منظور، بيروت، دار القلم.
- ٥٣- اللمع، لأبي السراج الطوسي، تحقيق د. عبدالحليم محمود، وطه عبد الباقي، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية.
- ٥٤- لوائح الأنوار في طبقات الأخيار، عبد الوهاب الشعراني، (القاهرة، ١٩٦٥م).
- ٥٥- مجلة الهلال، يونية ١٩٨٥م، ١٢ رمضان ١٤٠٥هـ.
- ٥٦- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب عبدالرحمن بن قاسم، طبعة خادم الحرمين الشريفين، إشراف الرئاسة العامة لشئون الحرمين الشريفين
- ٥٧- مختار الصحاح، للرازي، ترتيب محمود خاطر، وتحقيق وضبط حمزة فتح الله، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٤هـ.
- ٥٨- مدارج السالكين، لابن القيم، تحقيق محمد حامد الفقي، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٣٩٢هـ.
- ٥٩- مسند الإمام أحمد، ط٥، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٥هـ.
- ٦٠- المصادر العامة للتلقي عند الصوفية/ صادق سليم صادق.
- ٦١- معجم البلدان، ياقوت الحموي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٦هـ.
- ٦٢- المعجم الوسيط، إخراج إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبدالقادر ومحمد علي النجار، مجمع اللغة العربية بمصر، استانبول، دار الدعوة، ١٣٨٠هـ.
- ٦٣- المعيار المعرب، أحمد الونشريسي، إشراف د. محمد حجي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٤٠١هـ.
- ٦٤- المغني، لابن قدامة، الرياض، مكتبة الرياض الحديثة، ١٤٠١هـ.
- ٦٥- مقدمة ابن خلدون، عبدالرحمن بن خلدون، ط٦، بيروت، دار القلم، ١٤٠٦هـ.
- ٦٦- مقدمة كتاب كشف القناع عن حكم الوجد والسماع للقرطبي، تحقيق: د. عبدالله الطريقي.
- ٦٧- المنار المنيف في الصحيح والضعيف، لابن القيم، تحقيق عبدالرحمن المعلمي، أعده وأخرجه

- منصور السماري، ط٢، الرياض، دار العاصمة،
١٤١٩هـ.
- ٦٨- الموفي بمعرفة التصوف والصوفي / لأبي
الفضل جعفر الأدفوي، تحقيق وتعليق: د/ محمد
ضالحنة، ط١ (الكويت - دار المعرفة - ١٤٠٨هـ).
- ٦٩- نزهة الأسماع في مسألة السماع، لابن رجب
الحنبلي، تحقيق الوليد الفريان، ط١، الرياض، دار
طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٠٧هـ.
- ٧٠- نظرية الاتصال عند الصوفية/ د. سارة آل
جلوي.
- ٧١- نور التحقيق، حامد صقر (مصر: دار
التأليف - ١٣٦٩هـ).
- ٧٢- الوافي، معجم وسيط اللغة العربية، عبد الله
البستاني (بيروت: مكتبة لبنان - ١٩٩٠م) ص ٣٠٣
بدون رقم الطبعة).
- ٧٣- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن
خلكان، تحقيق د. إحسان عباس، بيروت، دار
صادر، ١٩٦٩م.

'Scholar's perspective of 'Al-Smaa

Muhammad Ahmad Aljwair

Dar Al Uloom University

Abstract. the research deals with one of the issues of behaviour in 'Sufism'. This behaviour is called 'hearing - Al-Smaa' and is familiar amongst them as a worship which brings one closer to Allah. This behaviour is linked with other actions such as dancing, stunting, slapping, tearing clothes etc ...

The current scholars hold the same opinion regarding this behaviour as the scholars from the past which condemned it to be an innovation in the religion. Furthermore they have responded to the innovators according to the right method of approach. Some imams, sheikhs, authors of Sufia and poets participates in these approaches .

What is remarkable that these responses and denials were in each era and epoch, this confirms the unity of the method in defending the faith and exposing the innovators' myths.